# غانة فى العصور الوسطى

دكتور ابراهيم على طرخان

أقدم إمبراطورية قامت فى السودان الغربى — تفسير إسمها — عناصر سكانها : السوننك — حكومة البيض الأولى — حكومة السوننك — العاصمة غانة أو كومبى صالح — ما أسفرت عنه عمليات الحفر — ظهور الإسلام وقدم انتشاره فى غربى أفريقيا — قدم الإسلام فى غانة — نمو المدينة الإسلامية أو القسم الإسلامى فى عاصمة غانة — الهنيهيون — أهمية المسلمين فى غانة — إسلام بعض ملوك السوننك — دور المرابطين — قيام حكومة غانة الإسلامية وارتباطها بالخلافة العباسية — أحوالها العامة : نظم الحكم وتقاليده — الحياة الاقتصادية : صادرات غانة وواردتها — تجارة الملح — نقاره وتجارة الذهب — التجارة الصامتة — تجارة الرقيق — البناء الاجتماعى فى إمبراطورية غانة — ترف الملوك — التتريب والتصفيق فى التحية الملكية — بعض العادات الوثنية — الحياة الروحية والثقافية — العلاقات الخارجية — نهاية غانة ( ١٢٠٣ م ) — الجمهوريات الحديثة التى قامت فى أراضى غانة — لم استعارت جمهورية غانة الحديثة اسم الأمبراطورية التاريخية العريق ؟

* * *

تعتبر إمبراطورية غانا التاريخية أقدم الإمبراطوريات الأفريقية القومية التى قامت بالسودان الغربى ؛ وقد بلغت هذه الإمبراطورية ذروة مجدها خلال القرن الحادى عشر الميلادى(١) .

ونظراً لندرة الوثائق الخاصة بغانة ، فان المعلومات المتداولة عن فجر تاريخها ليست من الدقة بحيث يمكن الاعتماد عليها ، وتبدأ المعلومات والمعارف المتعلقة بتاريخ غانة تتضح منذ القرن الثامن الميلادى فصاعداً . يقول الفع محمود كعت ، عن ملوك غانة الأوائل :

« وقد بعد زمانهم ومكانهم علينا ولا يتأتى لمؤرخ فى هذا اليوم أن يتأتى بصحة شىء من أمورهم يقطع بها ، ولم يتقدم لهم تاريخ فيعتمد عليه »(٢) .

اشتهرت إمبراطورية غانا بهذا الاسم بالنسبة إلى عاصمتها مدينة غانة Ghana أو Ghanate [٣]، ويقول جويى Gouilly عن مدينة ولاتا Oualata — وهى الواردة فى رحلة ابن بطوطة باسم « أيوالاتن » — أنها ليست سوى تحريف لكلمة « غاناتا » ، كما ينطقها السود ، [٤] وذلك نقلا عما ذكره ما رمول Marmol فى القرن السابع عشر[٥]. والمعروف أن مدينة ولاتا ، أنشأها أو عمرها المسلمون الجافلون من أهل غانة ، على أثر هجوم الصوصو عليهم ( ١٢٠٣ ) .

والراجح أن كلمة غانة ، كانت أصلا ، لقباً ، يلقب به ملوك هذه الإمبراطورية[٦] والملاحظ أن هذه التسمية ليست لها أصول عربية [٧]. يقول البكرى :— « وغانة سمة لملوكهم واسم البلد أوكار » .[٨] ويقول ياقوت : « غانة كلمة أعجمية لا أعرف لها مشاركا من العربية ، وهى مدينة كبيرة فى جنوبى بلاد المغرب ، متصلة ببلاد السودان »[٩] وعن القلقشندى : أن بلاد غانة تقع « غربى صوصو ، وتجاور البحر المحيط الغربى ، وقاعدته — أى قاعدة هذا الإقليم — مدينة غانة ، وهى محل سلطان بلاد غانة »[١٠] وعند المقريزى : ومدينة غانة محل سلطان بلاد غانة [١١] .

وللمؤرخ الغينى جبريل نيان Djibril Nian ، تفسير ، يلتقى مع الدلالات السابقة لعاصمة « غانا » ، قال جبريل فى كتابه عن غانا ، تعنى كلمة غانة ، بلغة السوننك « القيادة العسكرية » ، ثم صارت تعنى العاصمة ، مركز القيادة ، ثم اتسع المدلول حتى صار يطلق على الإمبراطورية[١٢] .

* * *

أما عن أصول سكان إمبراطورية غانا التاريخية ، فهناك أساطير مختلفة حول هذه الأصول ، من ذلك ما وضح فى بعض وثائق قبائل الهوسا ، أن أهل غانة القدماء ، كانوا يسمون أنفسهم التورد أو التوروث Taurud or Towrooth وأنهم جاءوا أصلا من وادى دجلة والفرات ، أى أن لهم أصولا أشورية وبابلية قديمة ، ومعنى هذا انتماؤهم إلى العنصر الذى يرجع أصل موطنه إلى منطقة جبال طوروس ، ووصل ذروة مجده فى التاريخ فى وادى دجلة والفرات[١٣] .

والنسبة إلى الأصول الشرقية أمر مألوف عند كثير من شعوب السودان الأوسط والغربى ، وهى الشعوب التى اشتهرت فى التاريخ وكونت لها إمبراطوريات واسعة ،

مثل مالى ، وارثة غانة ، وصنغى وارثة مالى ، وكذلك عند أباطرة برنو وغيرهم[١٤] .

والمحقق أن أهم القبائل التى تكون أغلب سكان إمبراطورية غانة فى العصور الوسطى ، هى قبائل السونك Soninke وهى من فروع « الماند » الأساسية ، أى من مجموعة الشعوب أو القبائل المتكلمة بلغة « الماند »[١٥] . وتنفرد مجموعة السونك : عن بقية فروع الماند الأخرى ، بصفات جثمانية خاصة ، وتقاليد اجتماعية معينة .

كان السونك يقيمون فى الصحراء ، ثم تركزوا بعد ذلك على حافتها الجنوبية ، فيما اشتهر باسم « الساحل » حيث امتزجوا بالبربر والفولانيين ، وهم زراع مرتبطون بالأرض ، غير أن هذا لم يحل دون عملهم فى التجارة ، ولعل اختلاط السونك بغيرهم من العناصر ولا سيما البربر ، هو الذى غير بعض الشىء فى ألوانهم حتى أن الولوف يطلقون على السونك المقيمين فى حوض السنغال اسم : سيركول أو سراكول Sarakole أو Sere-Kule أو Ser-Koulé وتعنى هذه التسمية عند الولوف : الرجال الحمر أو الناس الحمر Red Men مما يدل على أنهم لم يكونوا صريحين فى الصفات الزنجية النقية .

تضم مجموعة السونك فروعا مختلفة : اشتهرت بأسماء متنوعة ، تبعاً للأماكن التى قامت بها ، أو تبعاً لأسماء العشائر التى برزت من بينها ، أو بحسب تسمية جيرانهم لهم . فقبائل البامبارا ، وهى فرع من الماندنجو ، تطلق على السونك المقيمين فى منطقة منحنى النيجر ، اسم ماركا Marka أو ماركنك Mark-nke ويعرف السونك المقيمون فى ديا Dya ، غربى ما سنة ، باسم ديا كانك Dyakanke نسبة إلى محل إقامتهم ، ويبدو أن منطقة ديا كانت مركز تجمع للسونك ، ومنه تفرقوا فى شتى الجهات بالسودان الغربى ، بل إن هذه التسمية ، دياكانك ، أطلقت على المستعمرات التى استقروا فيها فى أعالى نهر غمبيا وفى فوتاجالون .

وكذلك يعرف السونك عند المغاربة باسم « أسوانك » Aswanik ، واشتهرت هذه التسمية على فريق من السونك يقيم جنوبى نهر النيجر ، ونسب المقيمون منهم فى مدينة طوبى Tuba إليها ، وهذه تسمية عربية إسلامية ، انتقلت إلى غربى أفريقية ولذلك فهم يعرفون باسم الطوباكى Tubaki . وفى مدينة جنى ، اشتهر السونك باسم « نونو » نسبة إلى اسم أول عشيرة سوننكية هاجرت إلى

جى . أما المجموعات القليلة التى بقيت فى الصحراء ، فاشتهرت باسم «الآزير» Azer

هذا ، وقد استعمل الفولانيون والهوسا والصنغى ، تسميات أخرى ، أطلقتها على السوننك وهى : أنجرا أوونقاره(١٦) أو وعكرى (١٧) Wangara-Wangarabe Ungara-Wankere-Wakore وكانت هذه المجموعة قد هاجرت فيما بعد إلى بلاد الهوسا ، وتدعى أنها من أصل فارسى ، واشتهرت المنطقة التى أقامت فيها بهذه التسمية « ونقاره » ، والمعروف أن هذا المصطلح يطلق كذلك على الماندنجو ، كما عرفت به منطقة مناجم الذهب .

أما مجموعة الدياوارا Dyawara التى استقرت فى منطقة كنجى Kingi ، وهى أصلا من منطقة ديا Dya ، فبالرغم من لغتها السوننكية ، إلا أنها تختلف من الناحية التاريخية ، عن بقية المجموعات السوننكية ، كما أن مستعمرات هذه المجموعة المتفرقة فى جيديمابا Gidimaba وكيز Kayes وبافولاب Bafulabe وغيرها ، تتكلم بلغة القبائل التى أقامت بينها واختلطت بها .

ومن أشهر أقسام السوننك الرئيسية ، كما يقول بنجر Binger تسعة ، هى :

١ — السسيون Sissé

٢ — آل بكر Bakaré

٣ — السليون Sillé

٤ — الديابى Diabi

٥ — الساخو Sakho

٦ — الكابا Kaba

٧ — الدوكورى Doukouré

٨ — النياخاتى Niakhate

٩ — الدياورا Diaoura وهؤلاء الآخرون ، ينقسمون بدورهم إلى فرعين هما : الساجوى Sagoué والدابو Dabo .

والراجح أن هذه الأقسام : عبارة عن العشائر الكبرى أو الأسرة الكبيرة التى اشتهرت بين السوننك ، بدليل أن الحكومة السوننكية الوطنية ، كان ملوكها من آل سيسى[١٨] .

وهناك أقسام أخرى ثانوية أو فرعية ، منها : الجاساما Gassama والتابورى Tabouré والدياخابا Diakhaba والفسورو Fissourou والفاديجا Fadiga والدافى Dafé والبيريتى Bérété[١٩] الخ .

* * *

وأول حكومة قامت فى غانة ، حكومة من البيض، يقال إنها ترجع إلى حوالى القرن الأول الميلادى ، ثم صارت ذات بأس وسطوة خلال القرن الرابع الميلادى ، والمتواتر فى بعض المصادر أن جماعة من المهاجرين البيض الساميين ، جاءت من الشرق ، أو من شمالى أفريقيا ، ومن برقة بصفة خاصة ، واستقرت هذه الجماعة فى منطقة أوكار Awkar أو Aoukar[٢٠] وسط مجموعة من الزنوج تتكلم لغة الماندى ، وأغلب هذه المجموعة من السوننك . كان نزوح هذه الجماعة أقرب إلى الهجرة السلمية منها إلى الغزو المسلح ، واختلطت هذه الجماعة بالوطنيين من السوننك ، حتى تغير لونها بطول الزمن ، وأخذت لغة الوطنيين[٢١] .

وفى وقت ما خلال القرن الرابع الميلادى ، استطاع هؤلاء البيض أن يبسطوا نفوذهم على الوطنيين الذين عاشوا بينهم ، وظهر بين البيض زعيم قوى اسمه « كارا » استطاع أن يؤسس دولة نواتها منطقتا كارا Kara وحوض Hodh ويطلق المغاربة اسم أوكار ليشمل حوض كذلك وظلت سلالته تحكم هذه الدولة حتى قرب نهاية القرن الثامن الميلادى .

يقول دلافوس Delafosse وسبيتز Spitz أن هؤلاء البيض من اليهود السوريين الذين كانوا يقيمون فى برقة ، وأنهم هم الذين أسسوا حكومة غانة الأولى[٢٣] وعن المسعودى أن حكام غانة الأول جاءوا إليها من الحبشة ، وهم من جنس به دماء عربية[٢٤] .

والمحقق أن حكام غانة الأول من البيض ، يقول السعدى : « وهم بيضان

فى الأصل» [٢٥] غير أن الشك حول أصولهم الغامضة ، هل هم من اليهود أم من البربر ؟ ويقول السعدى : « ولا نعلم أصلهم » ، والراجح أنهم من البربر ، الذين اختلطوا بالزنوج . وصلة قبائل البربر ببلاد السودان قديمة ، ثم أن أهل غانة أنفسهم يقولون ، إن أسرة بربرية كان تحكم فى بلادهم منذ زمن بعيد ؛ ويقول بومان Baumann بأن مؤسس حكومة غانة الأول هم : البيض الأفريقيون من البول أو من البربر الليبيين [٢٦] ، ويقول محمود كعت : « واختلف أى قبيلة هم كانوا منها ، قيل من وعكرى [٢٧] ، وقيل من ونكر [٢٨] ، وهو ضعيف لا يصح ، وقيل من الصنهاجة ، وهو أقرب عندى ، لأنهم يقولون فى نسبهم أسكع . وهو حم فى اصطلاح سودان لقباً ، والأصح أنهم ليسوا من السودانيين والله أعلم ، وقد بعد زمانهم [٢٩] . . » والخلاصة أن حكومة غانة الأولى من البيض ، وأنهامن البربر ولها أصول شرقية .

والمتواترعن عدد ملوك هذهالأسرة التى حكمت غانة : أنه بلغ نحو ٤٤ ملكا ، يقول السعدى : « وأول سلطان فى تلك الجهة هو قيمع ، ودار إمارته غانة ، وهى مدينة عظيمة فى أرض باغن [٣٠] ، قيل إن سلطتهم كانت قبل البعثة ، وتملك ٢٢ ملكا ، وبعد البعثة ملكها ( ٢٢ ) ملكا ، وهم بيضان فى الأصل ، ولا نعلم أصلهم ، وخدامهم عكريون » [٣١].

على أن هذا الرقم ليس دقيقاً بدليل أن صاحب الفتاش ، ذكر ، أن من حكم من هؤلاء الملوك قبل البعثة النبوية ، بلغ عددهم نحو ٢٠ ملكا [٣٢] . وقد أوضح صاحب الفتاش كذلك أن كيمع ، كما ضبطه بفتح الكاف والياء والميم والغين ليس اسماً ، وإنما هو لقب . يقول : « وكيمع فى لغة وعكرى ملك الذهب » [٣٣].

وأورد صاحب الفتاش اسم ملك ، كان يعاصر الرسول (صلعم ) أى فى القرن الأول الهجرى والسابع الميلادى ، وهو كنسعى ، كما ضبطه . قال : «وحدثنى بعض السلف أن آخرهم كنسعى . . وهو الملك فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم » [٣٤].

الخلاصة : لم نعرف ، حتى الآن ، فيما أعلم ، من ملوك الحكومة الأولى ، التى

قامت فى غانة سوى ثلاثة أسماء أو اسمين ولقب ، هى : كيمغ أو كيمع وكارا وكنسعى ( بفتح الكا وكسر النون وفتح السين والعين وسكون الياء ) .

١ — ( كيمع )كان يحكم فى وقت ما قبل القرن الرابع الميلادى .

٢ — كارا حكم خلال القرن الرابع الميلادى .

٣ — كنسعى كان يحكم خلال القرن السابع الميلادى .

وقد ظل ملوك هذه الحكومة يحكمون إمبراطورية غانة حتى قرب نهاية القرن الثامن الميلادى(٣٥) .

اتسع نفوذ هذه الحكومة ، حتى صار يشمل المساحات الممتدة بين أعالى نهر السنغال وأعالى نهر النيجر ، وذكر سبيتز Spitz أن إمبراطورية غانة زمن هذه الحكومة كانت زراعية إقطاعية (٣٦) ، غير أن هذا لم يحل دون اشتغالها بالتجارة واستخراج الذهب ، إذ أن عظمة غانة التاريخية قامت على ثروتها من الذهب والتبادل التجارى وأن ملوكها قد بلغوا من القوة والثراء ، بحيث صاروا يلقبون بملوك الذهب ، كما صارت بلادهم تعرف بأرض الذهب(٣٧) .

ولقد أفاض صاحب الفتاش فى وصف قوة غانة وسعة نفوذها وعظمة ملوكها وأورد أخباراً عن الملك كنسعى ، المعاصر للرسول (صلعم) ، هى أقرب إلى الأساطير منها إلى الحقيقة ، إلا أنها تصور ، على أية حال ، عظمة ملوك هذه الدولة ، ومدى ما كانوا عليه من ثراء وقوة ، فهو يقول ، مثلا :

« إن له ألف خيل مربوطين فى داره ، عادة معروفة ، إن مات واحد منهم فى صبح جىء بآخر مكانه قبل المساء وفى الليل كذلك ، ولا ينام واحد منهم — أى من الخيل — إلا على زريبة ، ولا يربط إلا بحرير فى عنقه وفى رجله ، ولكل منهم آنية من النحاس يبول فيها ؛ لا يقطر من بوله على الأرض قطرة ، إلا فى الإناء ، لا فى ليل ولا فى نهار ؛ ولا ترى زبلا واحداً تحت واحد منهم ولكل واحد منهم من الخدم ثلاثة أنفس ، يجلسون تحته ، واحد منهم يقوم بعلفه ، وواحد منهم يسقيه ، وواحد منهم موكل على رصد بوله وحمل زبله »(٣٨) .

وحوالى نهاية القرن الثامن الميلادى ، قامت أسرة من السوننك ، وهى أسرة سيسى Sissés أو Sosse ، ونجحت فى طرد أسرة البيض الحاكمة ، أو دولة كيمع ، وكانت هذه الأسرة الجديدة تتحكم فى منطقة وجادو Wagadou (٣٩) .

ويحتمل أن أول ملوك الحكومة السوننكية لم يكن من آل سيسى الذين اشتهر أمرهم ، وإنما كان من آل وكورى، وإن آل سيسى أزالوا حكم هذه الأسرة السوننكية المنافسة وحلوا مكانها ، فقد ورد أن الملك بنتجوى Bentigui Doukouré كان يحكم حوالى عام ٧٩٠ م .

وصور صاحب الفتاش نهاية الحكومة الأولى بقوله :

« ثم أفنى الله ملكهم ، وسلط أراذلهم على كبرائهم من قومهم واستئصالهم وقتلوا جميع أولاد ملوكهم ، حتى يبقروا بطون نسائهم ويخرجوا الجنين ويقتلونهم »(٤٠) .

ظلت الأسرة السوننكية الجديدة تحكم إمبراطورية غانة حتى مطلع القرن الثالث عشر الميلادى باستثناء الفترة التى استولى خلالها المرابطون على عاصمة غانة من عام ١٠٨٦ — ١٠٨٧ م (٤١) وفى عهد هذه الأسرة بلغت إمبراطورية غانة ذروة مجدها وعظمتها واتساعها . كما اشتهرت بثرائها وقوتها . أما أعضاء الأسرة الهاربة . فقد اتجهوا مع أنصارهم إلى بلاد تكرور . حيث اختلطوا بالتكاررة . ويقال إن هؤلاء البيض الهاربين لم يعودوا بيضاً . كما كانوا فى الأصل . إذ تغيرت ألوانهم حتى صاروا أشبه بالزنوج . نجحوا فى التحكم السياسى فى منطقة تكرور . وظلوا أصحاب النفوذ حتى القرن الحادى عشر . عندما هب التكاررة . وطردوا هؤلاء المغتصبين . ويقول بعض الكتاب إن هؤلاء البيض هم الذين اشتهروا فيما بعد باسم الفولانيين(٤٢) .

وليس من المعروف من ملوك الحكومة السوننكية سوى خمسة أسماء هى : بنتجوى وتكلان وبلوتان وبسى ومن بعده تنكامنين Tenkamenin وهو ابن أخت بسى . وكان تنكامنين يعاصر البكرى ( ١٠٩٤ م ) وولى هذا الملك عرش غانة حوالى عام ٤٥٥هـ/١٠٦٣ م أى قبيل فتح المرابطين لغانة بقليل (٤٣) .

١ — بنتجوى دوكورى كان يحكم حوالى عام ٧٩٠ م .

٢ — تكلان Tiklan . كان يحكم حوالى مطلع القرن التاسع الميلادى .

٣ — تلوتان أوبولاتان Tloutan or Boulatan وهو ابن السابق كان يحكم حوالى عام ٨٣٧ م .

٤ — بسى Bec1 توفى حوالى عام ١٠٦٣ م .

٥ — تنكامنين وهو ابن أخت السابق ، ولى عرش غانة حوالى عام ١٠٦٣ م .

* * *

والظاهر أن لقب « كيمع » أى ملك الذهب ، ظل يطلق على جميع ملوك غانة ، سواء أكانوا من الحكام البيض الأول ، أو من حكام السوننك السود ، الذين حكموا منذ نهاية القرن الثانى الميلادى ، بدليل ما ذكره صاحب الفتاش ، من أن سلطنة مالى لم يستقم أمرها إلا بعد انقراض دولة كيمع ، والواضح تاريخياً أن زوال إمبراطورية غانة كان فى مطلع القرن الثالث عشر على يد الصوصو .

ولعل شمول هذا اللقب لجميع ملوك غانة ، هو الذى جعل بعض كتاب الغرب يخلطون ، أمثال ج. يفر G. Yver ودى بدرال De Pedrals ، فجعلوا كيمع أول ملوك حكومة السوننك الزنوج من آل سيسى ، وهى التى ورثت السلطة فى غانة بعد حكومة البعيض الأولى ، مع أن الفع محمود كعت يقول إن « كيمع من الملوك الأوائل وقد قضى منهم عشرون ملكاً قبل ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم » (٤٤). ويقول السعدى : « وأول سلطان فى تلك الجهة هو كيمع ودار إماراته غانة »(٤٥) .

والخلاصة أن لقب ملك الذهب أو قيمع ، أطلق على جميع حكام غانة ، أرض الذهب منذ عهد الحكومة الأولى حتى اختفاء غانة من التاريخ فى القرن الثالث عشر الميلادى .

كان حكام غانة الجدد أقوى من أسلافهم البيض(٤٦) إذ عملوا على توسيع حدود ملكهم ، ففى عهد هذه الأسرة ، استولت غانة على أودغست(٤٧) ، وهى عاصمة إمبراطورية إسلامية سادتها من البربر من قبيلة لمتونة ، وقد تم فتح أودغست حوالى عام ٩٩٠ م ، ووضع حكام غانة عليها حاكماً سوننكياً أسوداً ، وربما اتخذها ملك غانة محل إقامة له فى بعض الأوقات ؛ ومنذ ذلك التاريخ ، أصبحت أودغست خاضعة

لغانة وتدفع لها الجزية ، حتى منتصف القرن الحادى عشر تقريباً ؛ وكان خضوعها لسادة غانة ، من بين الأسباب التى دفعت المرابطين فيما بعد إلى مداهمتها وعقابها جزاء هذا الخضوع(٤٨) .

ومن البلاد الهامة التى خضعت لإمبراطورية غانة ، مدينة ولاته وأنباره وكوغه والوكن وسامة ؛ ويصف البكرى أهل سامة ، بقوله : « إنهم يسمون بالبكم ، ولهم حذق بالرماية يرمون بالسهام المسمومة ، ويورثون الإبن الأكبر مال الأب كله»(٤٩).

بلغت إمبراطورية غانة ذروة قوتها واتساعها خلال الفترة من القرن العاشر الميلادى إلى قرب أواخر القرن الحادى عشر ، وشملت من الأقاليم الهامة ، بجانب أوكار وهوذ ، باسيكورو Bassikuru ووجادو فى الشرق وديارا Diara فى الغرب وكانياجا Kaniaga موطن الصوصو ، فى الجنوب الشرقى(٥٠) والواقع أن مدى اتساع إمبراطورية غانة ، ليس معروفاً بالضبط ، ولكن المحقق أن نفوذها كان واسعاً ، بحيث أنها كانت صاحبة السيادة والنفوذ فى جميع المساحات الواقعة بين النيجر والمحيط الأطلسى ، وصارت أعظم قوة سياسية فى السودان الغربى ، ويمكن القول بصفة عامة ، أنها امتدت من ناحية الشمال ، وخضع لها أغلب قبائل الصحراء الجنوبية ، وربما وصلت غزواتها إلى منطقة أدرار وامتدت من ناحية الغرب إلى أعالى السنغال وفرعه باول Bawle وحدود مملكة التكارره ، ومن الشرق إلى قرب تمبكتو ، وجنوباً بغرب إلى أعالى النيجر وأعالى السنغال ومنطقة الذهب فى ونقارة ، لكنها لم تتحكم فى ونقارة نفسها ؛ وهناك احتمال بأنها امتدت فى بعض الأحيان إلى المشارف الشمالية لجمهورية غانة الحديثة ، وهى التى كانت معروفة من قبل باسم مستعمرة ساحل الذهب وإلى أطراف منطقة الغابات الاستوائية ، بحيث اقتربت من مواطن الوثنيين المعروفين فى الكتب العربية باسم «الكفار اللملمية» lem lem كما يقول الإدريسى(٥١) وعن المسعودى : « وتحت يد ملك غانة عدة ملوك وممالك »(٥٢) .

وحسبنا ما يقوله الفع محمود كعت عن قوة ونفوذ إمبراطورية غانة وسعة أملاكها ، فقد نذكر أن إمبراطورية مالى — وارثة غانة — لم يستقم أمرها « إلا

بعد انقراض دولة كيمع سلطان المغرب كله بلا استثناء مكان ما منه ، وسلطان مل من عبيده وخدمه ووزرائه »(٥٣) .

* * *

أما عاصمة هذه الإمبراطورية فقد ازدهرت زمن حكومة السوننك الوطنية إلا أن تأسيسها يرجع إلى عهد حكومة البيض الأولى ، ويقال إنها بنيت حوالى عام ٣٠٠ م(٥٤) ، وظلت تنمو بالتدريج ، ونظراً لقدم الإسلام فى بلاد غانة(٥٥) فان حياً إسلامياً قام بعاصمة غانة حتى صار مدينة كبرى قائمة بذاتها ، وحسبنا الأوصاف الدقيقة التى أوردها الكتاب العرب المسلمون عن هذه المدينة وأقسامها ..

يقول البكرى :

«ومدينة غانةمدينتان سهليتان ، إحداهما المدينة التى يسكنها المسلمون ، ومدينة الملك على ستة أميال من هذه وتسمى بالغابة(٥٦) والمساكن بينهما متصلة ، ومبانيهم من الحجارة وخشب السنط ، وللملك قصر وقباب ، وقد أحاط بذلك كله حائط كالسور . وحول مدينة الملك قباب وغابات . . يسكن فيها سحرتهم ، وهم الذين يقيمون دينهم ، وفيها دكاكيرهم — الدكور هو الصنم — وقبور ملوكهم . ولتلك الغابات حرس ، ولا يمكن أحد دخولها ولا معرفة ما فيها ، وهنالك سجون الملك ، فاذا سجن فيها أحد انقطع عن الناس خبرة»(٥٧) .

وتشبه هذه الغابة ما عرف عند الجرمان الأولين باسم الغابة المقدسة(٥٨) وعن الإدريسى : « غانة مدينتان على ضفق البحر الحلو ، وهى أكبر بلاد السودان قطراً ، وأكثرها خلقاً وأوسعها متجراً »(٥٩) ، ويقول فى موضع آخر : « ولهم — أى سكان العاصمة — زوارق يتصيدون فيها ويتصرفون بين المدينتين بها»(٦٠) .

وعن ابن الوردى :

« هى مدينتان على ضفق النيل ، ويقصدها التجار من سائر البلاد »(٦١) ويقول القلقشندى« إنهما مدينتان على ضفق نيلها، إحداهما يسكنه المسلمون ، والثانية يسكنها الكفار »(٦٢) . وعن المقريزى « وغانة مدينتان : إحداهما يسكنه المسلمون والأخرى الكفار »(٦٣) .

* * *

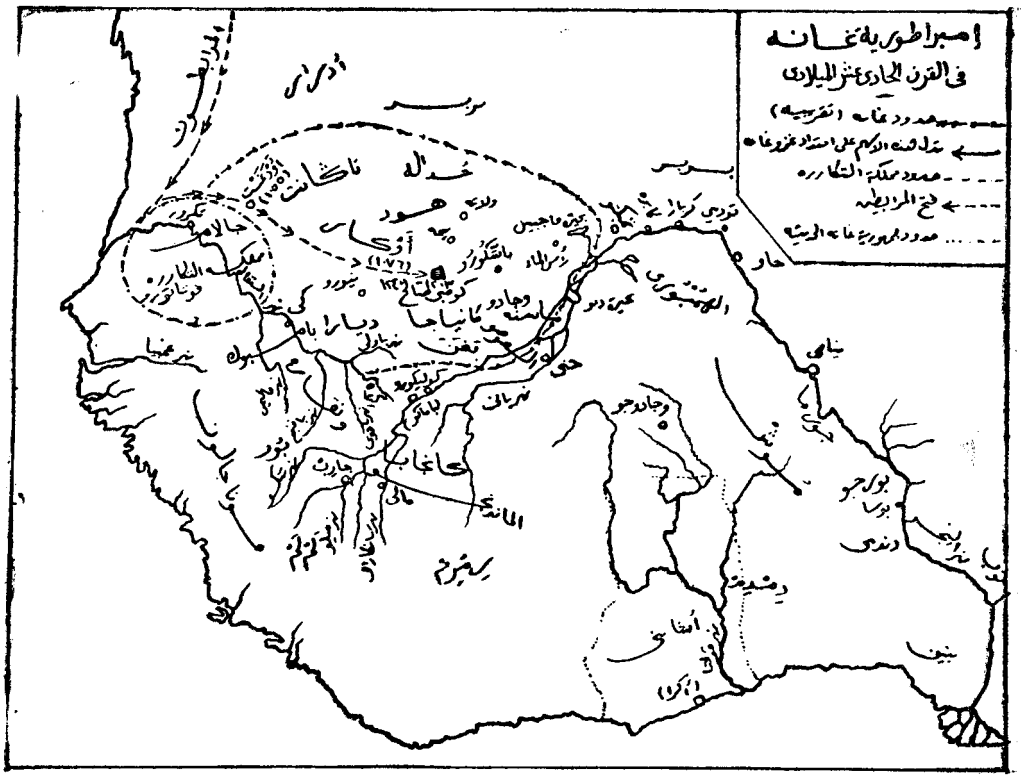


وموقع مدينة غانة القديمة ، موضع نقاش وجدل ، ولكن أطلالها ، تقع اليوم بالقرب من الحدود الجنوبية لجمهورية موريتانيا الحديثة ، وتقع ضمن أراضى جمهورية مالى الحديثة . لقد أخطأ ليو الافريقى حين قال ، إن غانة هى نفس مدينة « كانو » الواقعة فى شمالى بلاد الهوساء بنحو ٢٠٠ ميل(٦٤) وظل هذا الخطأ شائعاً عند الأوربيين حتى ظهر كتاب كولى Cooley عام ١٨٤١ ، وأوضح بدقة موضع غانة فى مكان ما جهة الغرب(٦٥) وهى على طريق القوافل الغربى القادم من مراكش ، والمكان الصحيح يبعد عن تمبكتو بمسيرة بضعة أيام إلى الجنوب الغربى من تمبكتو وعلى بعد نحو ألف ميل شمالى جمهورية غانة الحديثة ، ونحو ٢٠٠ ميل شمالى باماكو عاصمة جمهورية مالى الحديثة(٦٦) .

قامت حفائر البحث عن آثار هذه المدينة ، التى كانت خلال القرن العاشر

والحادى عشر الميلاديين أعظم مدن السودان الغربى كما كانت سوقاً عظيمة بين بلاد البيض وبلاد السودان ، فضلا عن أنها ملتقى طرق القوافل »(٦٧) .

بدأت هذه الحفائر عام ١٩٠٧ م على يد العـــالم الأثرى الفرنسى دبلاج فعثر على أطلال مدينة تدل على أنها كانت مزدهرة ، وقال : إن هذه هى أطلال غانة ، وأنها كانت تقع على جانبى بحيرة صغيرة ، وحدد مكانها على بعد نحو مائتى ميل غربى مدينة جنى ونحـــو ٤٠ ميلا شمال شرقى مدينـــة كوليـكورو ، الواقعة شمالى باماكو(٦٨) .

وفى عام ١٩١٤ قام حاكم فرنسى لإحدى المقاطعات وإسمه بونل ميزيير وحفر فى موقع فى المنطقة المشهورة باسم « الساحل » جنوبى الصحراء الـكبرى ، واقتنع بأن هذا الموقع يحتمل أن يكون مكان عاصمة غانة ، التى وصفها البكرى . استمر الحفر فى هذا الموقع المعروف باسم « كومبى صالح » وحدد بعده عن باماكو بنحو ٢٠٥ ميلا(٦٩) وقد ساهم المعهد الفرنسى لأفريقيا السوداء بداكار IFAN فى هذه الحفريات(٧٠) .

تجدد الحفر عام ١٩٣٩ ، ولم يقف إلا عندما اندلعت نيران الحرب العـالمية الثانية ، وبعد عشر سنوات ، قام توماس ومونى MAUNY ( ١٩٤٩ — ١٩٥٠ ) باتمام العمل ، وفحصا ما عثرا عليـه من آثار ، على ضوء المعلومات التى تجمعت لديهما(٧١).

أوضح هذان الباحثان ، فى عام ١٩٥١ ، أن الآثار التى عثرا عليها ، ليست سوى بقايا المدينة الإسلامية أو القسم الإسلامى من مدينة غانة ، ودلت هذه الآثار على أن هذه المدينة كانت زاهرة ، وتشغل نحو ميل مربع من الأرض ، وسكنها ما لا يقل عن ٣٠ ألف نسمة ، وهو عدد ضخم بالنسبة لسكان مدن العالم المعروفة يومئذ(٧٢) .

والراجح أن هذه المدينة الإسلامية كانت مركز الحـكومة الإسلامية التى قامت فى غانة فى عهدها الأخير ، أى عندما صار ملوك غانة على الإسلام(٧٣) وتشبه هذه المدينة الصنهاجية حالياً والمعروفة باسم سالونجارى الواقعة قرب مدينة كانو(٧٤) .

كشفت الحفريات عن عدد من المنازل والمساجد ، ومن بين ما كشفه توماس ، مؤسستان أو مبنيان كبيران ، يحتمل أن أحدهما كان يبلغ فى الطول نحو ٦٦ قدماً وأن عرضه أو اتساعه بلغ نحو ٤٢ قدماً ، وبه سبع غرف مفتوحة داخل بعضها البعض ، وأن هذا المبنى كان يتكون من طابقين بينهما سلم . أما المبنى الآخر فهو أكبر من الأول ، وكان يضم تسع غرف ، ولا تزال على جدرانه الداخلية بقايا الطلاء الأصفر(٧٥) .

ولم يعثر على شىء من الذهب أو الفضة ، ولكن عثر على مخزن كبير به أدوات مصنوعة من الحديد ، وقد علق مونى على هذه المكتشفات بأنها دليل ناصع على حضارة متقدمة ، مما يدعم مقالة الزهرى عن شدة بأس أهل غانة لأنهم استخدموا الأسلحة الحديدية ، وكان ذلك سبب انتصارهم على الجيران الذين كانوا يحاربون بقضبان من الأبنوس(٧٦) .

ومما عثر عليه فى أطلال كومبى صالح ، حراب وسكاكين ورؤوس سهام ومسامير ، ومجموعة مختلفة من الآلات والأدوات الزراعية ، وتعلق مارجريت شينى بأن هذه لا بد وأنها صنعت محلياً(٧٧) كذلك عثر على مقص حديدى دقيق الصنع ، ربما كان من أقدم ما عثر عليه من هذا النوع فى أية دولة (٧٨) ووجدا فضلا عن ذلك كمية كبيرة من الصنج الزجاجية ، من الواضح أنها كانت تستخدم فى وزن الذهب وهناك بقايا كثيرة من الأوانى الفخارية ، تحمل طابع البحر المتوسط و٧٧ قطعة من الحجر الملون ، منها ٥٣ قطعة أو لوحاً مكتوب عليها بعض آيات القرآن الكريم بالخط العربى ، بينما تضم الألواح الأخرى وعددها ٢٤ لوحاً زخارف ونقوشاً(٧٩) .

وكشف كذلك عن عدد كبير من المقابر ، من بينهما مقابر ملكية ، ومن بين هذه اللوحات شواهد قبور .

ولم يتم الحفر بعد فى موقع كومبى صالح ، ويمكن القول : إن هذا هو كل ما عثر عليه حتى عام ١٩٦٥ م ، ولم يعثر للآن على شىء من آثار مدينة الغابة الوثنية ، أو القسم الوثنى من مدينة غانة(٨٠) ويبدو أنها اندمجت فى المدينة الإسلامية وعفت

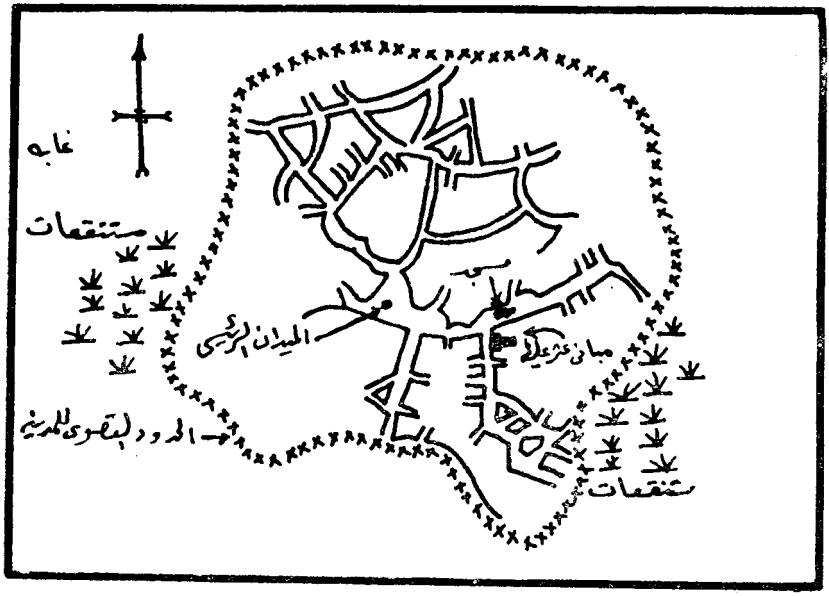


مدينة كومي صالح عاصمة إمبراطورية غانه
(عن توماسي ومرفي)

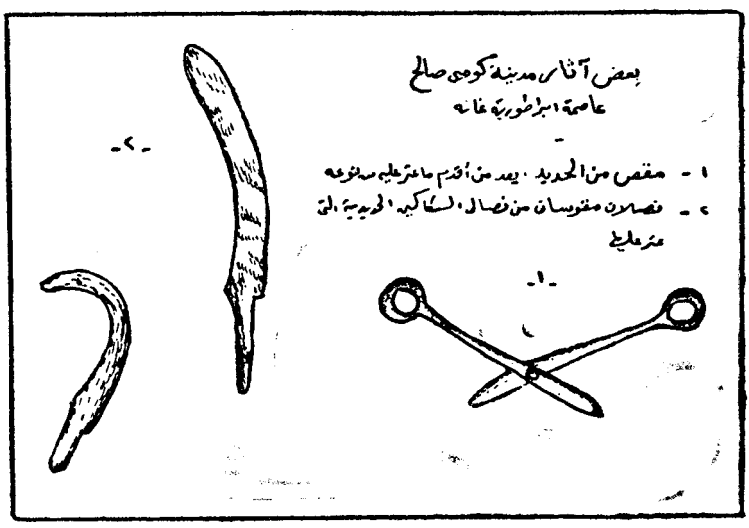

شاهد قبر لسيدة عثر عليه فى أطلال كومي صالح ، مكتوب باللغة العربية والعبارة المكتوبة :

« اللهم ارحم
فاطمة الطا (هرة)
... بنت سيد
نا محمد ابن
سيد موسى
. . . . . .
. . . . . »

آثارها الوثنية ، عندما تحولت حكومة غانة الإسلامية منذ نهاية القرن الحادى عشر الميلادى .

* * *

أما عن الإسلام وانتشاره فى السودان الغربى ، فالمعروف أنه بدأ ينتشر منذ حوالى منتصف القرن السابع الميلادى أى بعد فتح مصر وشمالى أفريقية ، ولم يكن المرابطون الذين قاموا بنشر الدعوة الإسلامية فى القرن الحادى عشر الميلادى ، هم الذين أدخلوا الإسلام تلك البلاد لأول مرة ، بل إن حركتهم أدت إلى ازدياد عدد الداخلين فى الإسلام .

فالصلة التجارية والثقافية قديمة منذ الأزمنة السحيقة ، بين بلاد السودان وبلاد البحر المتوسط ، وقد كثرت هجرات المسلمين بعد ظهور الإسلام ، من العرب والبربر إلى بلاد السودان، وذلك منذ الفتح العربى الإسلامى لمصر وشمالى أفريقية . واحتكر التجار المسلمون عملية الاتصال ببلاد السودان لأسباب دينية وتجارية ، واستقرت أعداد كبيرة منهم فى تلك البلاد .

وهناك جهود إمبراطورية أودغست الإسلامية وتفانى ملوكها فى نشر الإسلام بين الزنوج . بلغت هذه الإمبراطورية ذروة قوتها وعظمتها خلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين ، وقامت بدور كبير فى الدعوة إلى الإسلام قبل حركة المرابطين .

والمعروف أن أودغست مدينة سوننكية الأصل ، ولو أن حكامها من البربر من قبيلة لمتونة ؛ جهدت هـــذه الإمبراطورية فى نشر الإسلام ، جنباً إلى جنب مع تنشيط حركة التجارة بين بلاد السودان وشمالى أفريقيا ، عبر الطرق الصحراوية ؛ والسلعة الهامة المطلوبة لبلاد السودان هى الملح . يقول ابن حوقل :

« وحاجة ملوك السودان إلى ملوك أودغست ماسة من أجل الملح الخارج إليهم من ناحية الإسلام »(٨١) وفى موضع آخر يقول :

« وملك أودغست يخالط ملك غانة »(٨٢) .

ويذكر عن الملك الأودغستى تيبوتان أنه كان شـــديد التحمس لنشر

الإسلام بين قومه وبين الزنوج المجاورين من ناحية الجنوب[٨٣] . وأن الملك تين بروتان ابن ونسو بن نزار ، الأودغستى كان قد بلغ من سعة النفوذ وقوة السلطان ما جعله سيداً على أكثر من عشرين من ملوك السودان ، كلهم يؤدون له الجزية[٨٤] وكان هذا الملك يحكم فى الفترة ما بين ٩٦١ ، ٩٨١ م .

كل تلك جهود وصلات مباشرة بين المسلمين وبلاد السودان ، لها أثرها لا شك فى دخول أعداد كبيرة فى الإسلام قبل القرن الحادى عشر .

وفى مطلع القرن الحادى عشر الميلادى ، جاء إسلام ملك التكرور وأرجابى ابن رابيس (ت حوالى ٤٣٢ هـ / ١٠٤٠م) ، عنصراً هاماً فى ازدياد انتشار الإسلام وهو صاحب الفضل فى إسلام أهل « سلى »[٨٥] من أعمال تكرور ، ويقول البكرى ، أن المسافة بين سلى وبين غانة « عشرون يوماً فى عمارة بلاد السودان »[٨٦] .

وليس من شك فى أن هذه الصلات المتنوعة ، وهذه الجهود البارزة ، قد أدت إلى انتشار الإسلام فى غربى أفريقية ، ولما كانت غانة جزءاً من غربى أفريقية ، فلا ريب أن الإسلام دخلها وانتشر بين بنيها ، بدرجات متفاوتة . لكن لا نستطيع أن نقول إن البلاد كلهـــا . . حكومة وشعباً ، أو حكاماً ومحكومين ، قد اعتنقت الإسلام ، أو أن الإسلام صار الدين الرسمى لإمبراطورية غانة .

والراجح أن أعداداً كبيرة من سكان غانة قد اعتنق الإسلام ، وأن مظاهر هذا الدين من الشعائر والمساجد والثقافة واللغة العربية ، قد وجدت طريقها إلى بلاد غانة فى زمن مبكر ، قبل المرابطين .

وهناك أكثر من دليل على قدم الإسلام فى غانة ؛ فقد ذكر البكرى ( ت ١٠٩٤ م ) أن بنى أمية أرسلوا جيشاً إسلامياً لفتح بلاد السودان ، فى صدر الإسلام ، واستقرت ذرية هذا الجيش فى غانة وكما يتضح من مضمون عبارة البكرى أن سلالة هذا الجيش أهملت التمسك بالإسلام ، إلا أن وصول هذه الموجة الإسلامية إلى غانا كان اتصالا مباشراً فى وقت مبكر .

وعبارة البكرى :

« وببلاد غانة قوم يسمون بالهنيين ، من ذرية الجيش الذى كان بنو أمية أنفذوه إلى غانة فى صدر الإسلام ، وهم على دين أهل غانة ، إلا أنهم لا ينكحون فى السودان ولا ينكحونهم فهم بيض الألوان حسان الوجوه »(٨٧) .

ويقول القلقشندى عن إسلام أهل غانة : « وكان أهلها أسلموا فى أول الفتح »(٨٨) ؛ ثم إن نمو الحى الإسلامى بعاصمة غانة ، أوالمدينة الإسلامية ، ليس من المعقول أن تكون قد ظهرت مرة واحدة أو خلال وقت قصير ، بحيث أصبحت تضم إثنى عشر مسجداً ، وأنها صارت موطناً لعدد كبير من فقهاء المسلمين وعلمائهم .

يقول البكرى :

« ومدينة غانة مدينتان سهليتان إحداهما المدينة الإسلامية التى يسكنها المسلمون وهى مدينة كبيرة فيها إثنا عشر مسجداً ، إحداها يجمعون فيه — أى يؤدون فيه صلاة الجمعة — ولها الأئمة والمؤذنون ، وفيها فقهاء وحملة علم ، وحواليها آبار عذبة ، منها يشربون وعليها يعتملون الخضروات .. »(٨٩) .

ومن الظواهر البارزة فى تاريخ إمبراطورية غانة ، حتى فى عهد الحكومة الوثنية ، أن المسلمين لكثرتهم وأهميتهم وثقافتهم ونشاطهم ، سواء أكانوا من السونغى الوطنيين أو من المستوطنين العرب والبربر ، تمتعوا باحترام واضح من قبل الملوك الوثنيين ، ومجرد نمو القسم الإسلامى فى العاصمة ووجود إثنى عشر مسجداً به ، دليل كبير على هذا الاحترام وهذا التسامح ، وأكثر من هـذا ، أقام الملك الوثنى مسجداً فى الحى الوثنى من العاصمة وهو « الغابة » لكى يؤدى فيه المسلمون الوافدون عليه ، شعائر دينهم ، يقول البكرى : « وفى مدينة الملك مسجد يصلى فيه من يفد عليه من المسلمين ، على مقربة من مجلس الملك »(٩٠) ويصف البكرى الملك الغانى تنكامنين بقوله إنه كان « محمود السيرة محباً للعدل ، مؤثراً للمسلمين »(٩١) .

هذا ، وإسلام رعايا غانة قبل حكومتها ، لم يحل دون تولى المسلمين أسمى المناصب فى الحكومة ، وحسبنا ما ذكره البكرى عن كبار رجال حكومة الملك الوثنية .

« وتراجمة الملك من المسلمين وكذلك صاحب بيت ماله وأكثر وزرائه »(٩٢) .

لكن هذا لا يعنى أن جميع ملوك غانة ، كانوا على الوثنية ، بل هناك رواية دو لارونسيير De La Roncière ومؤداها أن الملك تلوتان أو بولاتان وهو ابن تكلان اعتنق الإسلام حوالى عام ٨٣٧ م ، وأنه شن حرباً دينية ضد جيرانه الوثنيين(٩٣) .

وإذا صحت هذه الرواية ، فإنها لا تدل على أن ملوك غانة صاروا مسلمين على التعاقب منذ القرن التاسع الميلادى فصاعداً ، بل المحتمل أن قلة منهم أسلمت وأن غالبيتهم ظلت على الوثنية إلى أن جاءت حركة المرابطين(٩٤) .

جاء المرابطون فى النصف الثانى من القرن الحادى عشر الميلادى ، وقد بدأوا حركتهم فى المشارف الشمالية لبلاد السودان ، باخضاع أودغست عام ١٠٥٥ م ، عقاباً لها على خضوعها لحاكم سوننكى ، واتجهوا بعد ذلك إلى مدينة غانة واستولوا عليها عام ١٠٧٦ م ، وعينوا عليها حاكما من البربر(٩٥) .

ومنذ ذلك الوقت ، أى من أواخر القرن الحادى عشر الميلادى ، يمكن أن يؤرخ لإمبراطورية غانة الإسلامية ، حتى اختفائها من التاريخ فى مطلع القرن الثالث عشر الميلادى ، فقد أضحت حكومتها إسلامية ، ويقال إن الملك تنكامنين السوننكى كان يحكم غانة عند فتح المرابطين لها ، وأنه قبل الدخول فى الإسلام ، والخضوع لسلطان المرابطين ودفع جزية ، وأنه باسلام هذا الملك دخل عدد كبير من سكان العاصمة وغيرها من المدن فى الإسلام(٩٦) .

والمحقق ، أن الكثير من سكان إمبراطورية غانة ، قد اعتنق الإسلام قبل القرن الحادى عشر الميلادى ، وأنه منذ فتح المرابطين لعاصمة غانه ، ازداد عدد الداخلين فى الإسلام كما أسلم ملوكها أو أضحى ملوكها مسلمين ، وأصبحت الحكومة إسلامية منذ ذلك الوقت(٩٧) .

ومع أن حركة المرابطين أدت إلى إضعاف غانة سياسياً وأن سيادة المرابطين فى غانة أو تبعية غانة للمرابطين ، لم تستمر طويلا ، فسرعان ما تخلصت من هذه السيادة على أثر وفاة أبى بكر أمير المرابطين ١٠٨٧ م ، وتفرق كلمتهم من بعده(٩٨) إلا أن هذه الحركة كانت بعيدة الأثر فى ازدياد انتشار الإسلام وتقوية العقيدة الإسلامية فى السودان الغربى عامة(٩٩) .

واشتهر أهل غانة ، وأغلبهم من السوننك ، بحماستهم للاسلام ، وبالدور الكبير الذى نهضوا به فى الدعوة إلى الإسلام ، إذ كانت هذه العقيدة ذات أثر عميق فى حياتهم الاجتماعية ، حتى إن بعض العشائر السوننكية ، تكاد تختص بالعمل فى الدعوة إلى الإسلام فقط ، بل إن كلمة « سوننك » فى أعالى نهر غمبيا ، استخدمها الماندنكا الوثنيون مرادفاً لكلمة «داعى» ، مما يدل على الدور الكبير الذى لعبه السوننك فى نشر الإسلام(١٠٠) . ووصف الغرناطى إسلام أهل غانة ومدى محافظتهم على أداء فروض الدين ، بقوله :

« وأهل غانة أحسن السودان سيرة وأجملهم صوراً ، سبط الشعور ، لهم عقول وفهم ، ويحجون إلى مكة »(١٠١) .

ازداد عدد الداخلين فى الإسلام ، واشتهر كثير من المدن الغانية ، غير العاصمة بكثرة من فيها من المسلمين ، من هذه المدن غيارو Ghiarou ، القريبة من نهر النيجر الأعلى ، يقول البكرى عنها . « وفيها كثير من المسلمين »(١٠٢) . كذلك مدينة يرسنى الواقعة غربى غيارو ، يسكنها المسلمون ، « وما حولها مشركون » على قول صاحب المغرب(١٠٣) .

أما حكومة غانة الإسلامية ، فقد عملت على الاتصال المباشر بالخلافة العباسية فى بغداد وأجبرت رعاياها على لبس العمامة(١٠٤) . كما أن ملوك غانة الإسلامية ادعوا أنهم ينتسبون إلى البيت العلوى .

يقول الإدريسى :

« وهلها — أى أهل غانة — مسلمون ، وملكها فيما يوصف ، من ذرية صالح بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب ، وهو يخطب لنفسه ، لكنه تحت طاعة أمير المؤمنين العباسى(١٠٥) . وأشار ابن الوردى(١٠٦) إلى إسلام ملك غانة الذى عناه الإدريسى فى مقالته ، ويقول المقريزى : «ومدينة غانة محل سلطان غانة ، ويدعى أنه من نسل الحسن بن على ، عليه السلام »(١٠٧) .

والنسبة إلى البيت العلوى أمر مألوف ومشهور عند كثير من ملوك السودان ، فقد ادعاها ملك مالى وارث غانة(١٠٨) كما أدعى ملوك برنو أنهم من سلالة سيف بن

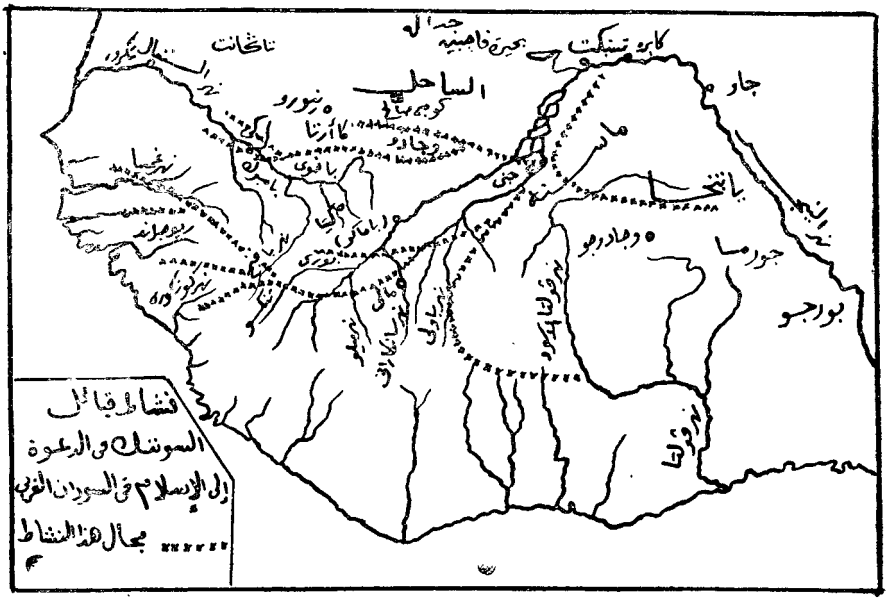


ذى يزن[١٠٩] وكل هذه أساطير إلا أنها تلقى ضوءاً من ناحية أخرى ، على أهمية علاقة الشرق الإسلامى بالإمبراطوريات الإسلامية التى قامت فى غربى أفريقيا ، وحرص تلك الإمبراطوريات على ارتباطها بالحضارة الإسلامية ، فضلا عن أهمية الانتماء إلى الأصول الشرقية فى نظرها .

ونظام الحكم فى إمبراطورية غانة ، ملكى استبدادى ، شأن جميع النظم القائمة فى الإمبراطوريات والممالك التى ظهرت فى السودان الغربى والأوسط ، سواء أكانت فى عهدها الوثنى أم فى عهدها الإسلامى .

والنظام السائد فى وراثة العرش هو توريث ابن الأخت . يقول البكرى عن هذا النظام فى غانة :

« وسنتهم أن الملك لا يكون إلا فى ابن اخت الملك ، لأنه لا يشك فيه أنه ابن أخته ، وهو يشك فى ابنه ، ولا يقطع على صحة اتصاله به »[١١٠] . ويقول فى موضع آخر :

« ولا يلبس المخيط من أهل دين الملك غيره ، وغير ولى عهده ، وهو ابن أخته »[١١١] .

والمعروف أن الملك السوننكى تنكامنين الذى ولى عرش غانة حوالى عام ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م ، كان قد ورث الملك عن خاله بسى Beci (١١٢) .

وعلل البكرى هذه الظاهرة ، بتوفر اليقين فى أن الوليد هو ابن أمه ، وهذا صحيح لكن من المعروف أيضاً ، أن لهذه الظاهرة أصولا ترجع إلى التقاليد الوثنية القديمة ، وهى التى تعلى من شأن المرأة عند أغلب القبائل الأفريقية الوثنية ، وبرزت عند السوننك ، وهؤلاء ، كما سبق ، فرع من الماندنجو ، والتقليد عام عند الأصول والفروع ؛ كذلك عرفت هذه الظاهرة عند قبائل البربر ولا سيما الطوارق ، وصلة هؤلاء ببلاد السودان ، ترجع إلى أزمنة موغلة فى القدم(١١٣) .

وقد أضعف الإسلام ظاهرة التوريث لابن الأخت ، وابن البنت ولكنه لم يقض عليها قضاءاً تاماً فى جميع الإمبراطوريات والممالك الإسلامية التى قامت بالسودان الغربى والأوسط ، بدليل بقائها فى بعض الممالك الإسلامية بالسودان الغربى وقد شهدها ابن بطوطة فى القرن الرابع عشر فى مدينة تكده ، فلم تعجبه وعلق عليها بقوله : « وذلك شىء ما رأيته فى الدنيا إلا عند كفار بلاد طلبار الهنود ، وأما هؤلاء فهم مسلمون محافظون »(١١٤).

وحدث شبيه هذا فى إمبراطورية مالى عندما انتقل العرش إلى ابن البنت ، وعلق القلقشندى على ذلك بقوله ، بأن هذا العمل جاء « على قاعدة العجم فى تمليك البنت وابن البنت »(١١٥) .

أما مكانة المرأة ، فلم تنحط بالإسلام ، وإنما نظمت ، وظلت منزلتها الرفيعة كما هى ، بدليل انتساب أعظم سلاطين مالى إلى أمهاتهم مثل كنكن موسى ( ت حوالى ١٣٣٧ م) الذى نسب إلى أمه نانا كانجو(١١٧) وكذلك الشأن فى إمبراطورية بورنو مثل الماى إدريس بن حفصة I. Hafeami ت ١٣٧٦ م والماى داود بن فاطمة D. Fatimami ( ت حوالى ١٣٨٦ م ) (١١٨) وهكذا .

وكان ملك غانة ينظر فى جميع شئون الإمبراطورية ، مهما كانت صحته ومقدرته ولياقته ، أورد البكرى خبراً عن الملك بسى الذى أورث عرشه لابن أخته ، مؤداه أنه ولى العرش وهو ابن ٨٥ سنة وأن بصره قد كف فى أواخر أيامه ، فكان يكتم ذلك عن أهل مملكته « ويريهم أنه يبصر وتوضع بين يديه أشياء فيقول هذا حسن

وهذا قبيح ، وكان وزراؤه يلبسون ذلك الناس »[١١٩] .

وأما الحكم المحلى ، فكانت الإمبراطورية مقسمة إلى ولايات أو ممالك ، يقول ابن الوردى : كان لملك غانة « ممالك عديدة فيها ملوك من تحت يده »[١٢٠] وكما كان للعاصمة وال أو حاكم كان لكل من الولايات أو الممالك الخاضعة لغانا ، حاكم أو ملك ؛ ومن أشهر الولايات ، أوكار وهى نواة إمبراطورية غانة ، وكذلك هوذ ، فى الوسط ، والممالك البربرية فى الشمال ، وديارا وتا كانت[١٢١] فى الغرب وباسيكورو فى الشرق وواجاد وكانياجا وبغن[١٢٣] فى الجنوب والجنوب الشرقى .

ومع أن نظام الحكم يقوم على أساس المركزية ، إلا أن بعض المقاطعات أو الولايات ، كان الحكم فيها وراثياً فى أسر معينة ، حتى إذا أحست هذه الولايات بضعف فى السلطة المركزية بالعاصمة ، ثارت واستقلت ، كما حدث عند دخول المرابطين ، غانة عام ١٠٧٦ م ، إذ استقلت كل من ديارا وكانياجا وجالام ، ولم يعد نفوذ السوننك باقياً إلا فى أوكار وباسيكورو[١٢٤] .

وكبار موظفى الملك ومستشاريه ووزرائه من المسلمين حتى فى العهد الوثنى ، إذ كان المسلمون أكبر طبقة مثقفة سواء من الوطنيين السوننك ، أو ممن هاجر من العرب والبربر واستقر فى غانة[١٢٥] وشجع على ذلك نشاط التجارة وازدهارها وتوفر فرص العمل فى حكومة غانا ، فضلا عن توفر الأمن لمدة تقرب من قرنين ، فقد كان لإمبراطورية غانة فرق من الحرس تجوب الصحراء[١٢٦] ولهذا أكبر الأثر فى نمو المدينة الإسلامية وازدحامها بالصفوة من العلماء والمثقفين ، وقيام المدارس العربية الإسلامية فيها[١٢٧] .

* * *

ومن تقاليد الحكم فى إمبراطورية غانة ، تلك المجالس التى يعقدها الملك للنظر بنفسه فى المظالم ، سواء أكان ذلك فى العهد الوثنى أم فى العهد الإسلامى ، وواضح فيها الأثر الشرقى ، ويصف البكرى هيئة جلوس الملك للنظر فى المظالم ، ويقول :

« وهو — أى ملك غانه الوثنى — يجلس للناس والمظالم فى قبة ، وحوله عشرة أفراس بثياب مذهبة ووراءه عشرة من الغلمان ، يحملون الحجف[١٢٩] ، والسيوف المحلاة بالذهب ، وعن يمينه أولاد ملوك بلده — أى ملوك الأقاليم والولايات الخاضعة له — قد ضفروا رؤوسهم على الذهب ، وعليهم الثياب الرفيعة ، ووالى المدينة — أى حاكم أو محافظ العاصمة — بين يدى الملك جالس على الأرض ، وحواليه الوزراء جلوساً على الأرض ، وعلى باب القبة كلاب منسوبة — أى أصيلة — لا تكاد تفارق موضع الملك تحرسه ، فى أعناقها سواجير[١٣٠] الذهب والفضة ، يكون فى الساجور عدد رمانات ذهب وفضة ، وهم ينذرون بجلوسه بطبل يقال له دبا[١٣١] ، وهو خشبة طويلة منقورة ، فيجتمع الناس »[١٣٢] .

ومن التقاليد فى مواكب الملك أن بعض الحيوانات كانت تتقدم هذه المواكب مثل : « الفيلة والزراريف وضروب من الوحوش التى فى بلاد السودان » كما يقول الإدريسى[١٣٣] .

ويصف الإدريسى هيئة ركوب الملك المسلم للنظر فى المظالم . فيقول : «وهو أعدل الناس فيما يحكى عنه ، ومن سيرته ، قربه من الناس وعدله فيهم ، له جملة قواد يركبون إلى قصره كل يوم ، ولكل قائد منهم طبل يضرب على رأسه ، فإذا اجتمع إليه جميع قواده ، ركب وسار يقدمهم ويمشى فى أزقة المدينة ودايرالبلد ، فمن كانت له مظلمة أو نابه أمر ، تصدى له ، فلا يزال حاضراً بين يديه حتى يقضى مظلمته ، ثم يرجع إلى قصره ، ويتفرق قواده ، فاذا كان بعد العصر ، وسكن حر الشمس ، ركب مرة ثانية ، وخرج وحوله أجناده فلا يقدر واحد على قربه ، ولا على الوصول إليه ، وركوبه فى كل يوم مرتين سيرة معلومة »[١٣٤] .

وقد أشار الإدريسى بهذا الوصف ، إلى ملك كان يحكم خلال القرن الثانى عشر الميلادى ، وهو صاحب القصر الذى يؤرخ لبنائه بعام ٥١٠ هـ — ١١١٦ م[١٣٥] .

ومن ناحية القوة الحربية ، اشتهرت امبراطورية غانة بقوة جيشها وكثرة تعداده، يقول ابن الوردى : « ولها ملك ضخم فى جنود وعدد وعدد »(١٣٦) ويتكون أغلب الجيش الغانى من القبيلة أو العشيرة التى تنتمى إليها الأسرة المالكة(١٣٧) ومع أن خيول غانة ، كما يقول البكرى قصيرة ، إلا أن جيشها عرف بقوة فرسانه(١٣٨).

يقول البكرى :

إذا احتفل ملك غانه ، ينتهى جيشه إلى مائتى ألف ، منهم رماة أزيد من أربعين ألف ، وخيل غانه قصار جداً(١٣٩) .

تسلح هذا الجيش بالأسلحة الحديدية ، مما مكنه من الانتصار على جيران غانه الذين كانوا دونها فى التسليح ، وقد لاحظ الزهرى قبل عام ١١٥٠ م أن سكان غانه قاموا بحملات حربية ضد جيرانهم ، وانتصروا عليهم بفضل أسلحتهم الحديدية من السيوف والحراب والرماح والخناجر فضلا عن القوس والنشاب ، وذلك على حين كان أولئك الجيران يحاربون بقضبان من الأبنوس(١٤٠) .

* * *

وعن الحياة الاقتصادية فى امبراطورية غانة ، الثابت أن عظمة غانة التاريخية وشهرتها وثراءها ، إنما ترجع أساساً إلى أرباحها التجارية الطائلة ، يقول ابن الوردى عن غانه وتجارتها :

« وهى أكبر بلاد السودان وأوسعها متجراً ، وهم فى سعة من المال ، ويقصدها التجار من ساير البلاد »(١٤١) » .

ثم إن موقع إمبراطورية غانة ؛ وموقع عاصمتها كومبى ، على حدود الصحراء الجنوبية ، وفى أقصى شمالى منطقة الزنوج ، قد جعلها حلقة اتصال بين الشمال والجنوب كما أن تحكمها فى طرق القوافل المؤدية إلى مناجم الذهب الكبرى فى جنوبها الغربى، أفادها وأثراها(١٤٢) .

أضحت مدينة كوبى صالح ، أكبر سوق فى بلاد السودان ، زمن ازدهار إمبراطورية غانه ، وقد استقر فيها عدد كبير من التجار البيض وتحكموا فى التجارة

السودانية ، وأهمها الذهب والرقيق ، وكان من بين التجار عدد كبير من التجار المصريين ، ويقال إن أحد التجار المصريين هو الذى اشترى كتلة الذهب الكبرى التى كان ملوك غانه يحتفظون بها فى قصورهم (١٤٣) .

تاجرت غانه مع جميع المدن الهامة فى شمالى أفريقية مثل طرابلس وأوجيلا وورقلان وسجلماسة ، واعتبرت المدن الثلاث الأخيرة ثغوراً للصحراء الكبرى ، وهى التى أمدت بلاد البحر المتوسط بسلع غانه وفى مقدمتها الذهب(١٤٤)

كانت إمبراطورية غانة تصدر الذهب والرقيق والجلود والعاج والكولا والصمغ والعسل ، وكذلك القطن والقمح(١٤٥) ، وينسب إلى حكومة غانة الأولى إدخال زراعة القطن وصناعة النسيج فضلا عن بعض الحيوانات الأليفة ، منها الثيران ذات الأقتاب ، بل إن امبراطورية غانه فى فجر نموها ، وصفت بأنها إمبراطورية زراعية إقطاعية(١٤٦) . والدورة الزراعية فى غانه اثنتان ؛ يقول البكرى : وهم «يزرعون مرتين فى العام على ثرى النيل(١٤٧) كذلك عندهم الأبنوس الجيد ؛ ورواية صاحب المغرب « عندهم الأبنوس المجزع الجيد »(١٤٨) .

وتستورد غانه الملح والنحاس الأحمر والفواكه المجففة ، ومن بينها التمر ، وكذلك استوردت الودع والمسابح وأدوات الزينة ، وكانت هذه السلع توزع فى جميع أرجاء بلاد السودان ، والمعروف أن صناعة المسابح كانت من الصناعات الأساسية فى مدينة سوتا حيث نهضت ونشطت من أجل التجارة مع السودان ، وتوجد مصائد للمرجان عند شواطئها(١٤٩).

على أن أهم ما صدرته غانه هو الذهب والرقيق ، وأهم ما استوردته هو الملح .

يقول دافيدسون Davidson

« تقع غانه بين مناجم الملح فى الشمال ومناجم الذهب فى الجنوب » (١٥٠) واشتهرت أودغست بتصدير الملح إلى غانه ، يقول ابن حوقل : « وحاجتهم إلى ملوك أودغست ماسة ، من أجل الملح الخارج إليهم من ناحية الإسلام ، فإنه لا قوام لهم إلا به ، بلغ الحمل الملح فى دواخل بلد السودان وأقاصيه ما بين مائتين وثلثمائة دينار »(١٥١) كان هذا الملح يستخرج من مناجم تغازة فى الشمال ، ويحمله التجار

التارية فى طريقهم إلى بلاد السودان(١٥٢) وأهم طوائف التجار التى عملت مع غانه تجار سجلماسة ، يقول ياقوت :

« وأهل هذه المدينة — أى سجلماسة — من أغنى الناس وأكثرهم مالا ، لأنها على طريق من يريد غانه التى هى معدن الذهب، ولأهلها جرأة على دخولها »(١٥٣).

وعن الغرناطى :

« يحمل التجار إليهم حجارة الملح على الجمال ، من الملح المعدنى ، فيخرجون من بلد يقال لها سجلماسة ، آخر بلاد المغرب الأعلى ، فيمشون فى رمال كالبحار ويكون معهم الأدلاء ، يهتدون بالنجوم وبالجمال فى القفار ويحملون معهم الزاد لستة شهور ، فإذا وصلوا غانه ، باعوا الملح وزنا بوزن الذهب ، وربما باعوه وزنا بوزنين أو أكثر ، على قدر كثرة التجار وقلتهم »(١٥٤).

حصلت غانه على ثروة طائلة من الضرائب التى فرضتها على السلع الداخلة إلى بلادها ، والخارجة منها، وقد أقامت نظاماً دقيقاً للجمارك(١٥٥) ، وكان للمسلمين فى غانه خبرة واسعة بالشؤون المالية ؛ ولذلك استعان بهم ملوك غانه منذ العهد الوثنى ، حتى كان منهم من أشرف على الشئون المالية للحكومة(١٥٦) .

قرر ملك غانه ضريبة قدرها ديناران ذهب على كل حمولة حمار من الملح يدخل بلاده ، وديناران عن كل حمولة تخرج من دياره ، وعبارة البكرى :

والملكهم على حمار الملح دينار ذهب فى إدخاله البلد وديناران فى إخراجه ، وله على حمل النحاس خمسة مثاقيل(١٥٧) وعن حمل المتاع عشرة مثاقيل »(١٥٨) .

وكانت مدينة تكده الواقعة شرقى النيجر، مشهورة بإنتاج النحاس من مناجمها، وصدرته إلى جميع بلاد السودان الغربى والأوسط ، وكذلك كانت تصدره إلى مصر (١٥٩).

وأما تجارة الذهب ، فهى التى كانت مصدر الربح الكبير لامبراطورية غانه ، مع أن غانه لم تسيطر على المنابع الرئيسية للذهب فى منطقة ونقاره ، إلا أنها تحكمت فى الطريق المؤدية إليها ، فضلا عن أن بلادها ضمت بعض المناجم ولاسيما مناجم غيارو .

يقول الإدريسى : « وتتصل مملكته — أى مملكة صاحب غانه — بأرض ونقاره ، وهى بلاد التبر المذكورة ،الموصوفة به كثرة وطيباً »(١٦٠) ، وفى موضع آخر يقول : « وشرقى غانه ، أرض ونقاره ، أرض التبر ، بينهما ثمانية أيام ، وهى جزيرة كبيرة يحيط بها النيل(١٦١) .

والواقع إن هذه المنطقة لا تقع شرقى غانه كما يقول الإدريسى ، بل هى تقع فى جنوبها الغربى ، والمقصود بالنيل هنا السنغال ، وتقع هذه المنطقة بين فروعه العليا باخوى وبافنج وفاليمى(١٦٢) .

يقول ماجور دنهام D. Denham : « تطلق كلمة ونقاره Ouangara or Ouakoré على كل مناطق الذهب ، وعلى جميع القادمين منها» .والواقع أن هذا المصطلح أطلق كذلك على قبائل الماندنجو ولا سيما على قبيلتى أو فرعى الجولا Jula والسوننك .

وتشمل منطقة ونقاره أربعة أقاليم هى : بامبوك Bambuk الواقعة بين روافد السنغال العليا باخوى وبافنج وفاليمى ، وبور Bure عند أعالى نهر تنكسو Tinkisso رافد النيجر ، ولوبى Lobi عند أعالى نهر فولتا و اشانتى داخل جمهورية غانه الحديثة .

والراجح أن كلمة و نقاره كما عناها كتاب العرب ووصفوها بأنها أرض الذهب ، بعض هذه الأقاليم وليست كلها (١٦٣).

ولكثرة ماحصلت عليه غانه من الذهب ، وصفت بأن أرضها كلها ذهب ، يقول ابن الوردى :

« وأرضها كلها ذهب ظاهر ، وأهلها يستخرجون الذهب ويصنعونه كاللبن ، وتسافر إليها التجار من سجلماسة فى مغارة نحو اثنى عشر يوماً »(١٦٤) ويقول المسعود : « وتحت يد ملك غانه عدة ملوك وممالك فيها الذهب ظاهر على الأرض يستخرجه أهله ويعملونه مثل اللبن » وظفر ملوك غانه بأكبر نصيب من هذه الثروة حتى قال ابن حوقل « وغانه أيسر من على وجه الأرض من ملوكها ، بما لديه من الأموال . .(١٦٥) المدخرة من التبر المثار » (١٦٦) .

وأوضح البكرى أن هناك أنواعا من الذهب ، يستصفيها الملك لنفسه ، ويترك ما دونها لرعاياه ، حتى لا ينحط سعر الذهب أو تضعف قيمته ، وعبارته بصدد الذهب المستخرج من منطقة غيارو .

وأفضل الذهب فى بلاده(١٦٧) ما كان بمدينة غيارو ، وبينها وبين مدينة الملك مسيرة ثمانية عشر يوماً ، فى بلاد معمورة بقبائل السودان ، مساكن متصلة ، وإذا وجد فى جميع بلاده الندرة(١٦٨) من الذهب استصفاها الملك لنفسه ، وترك منها للناس هذا التبر الدقيق ، ولولا ذلك ، لكثر الذهب بأيدى الناس حتى يهون ، والندرة تكون من أوقية إلى رطل ؛ ويذكر أن عنده منه ندرة كالحجر الضخم »(١٦٩) .

قام ملوك غانه وتجارها ، بدور الوسيط بين منتجى الذهب فى الجنوب وبين العرب فى الشمال ، وهؤلاء بدورهم باعوه لأوربا ، وكانت الأسواق الأفريقية هى المنبع الرئيسى للذهب بالنسبة لأوربا قبل كشف أمريكا .

يقول مونى :

« كان السودان أعظم مصدر للذهب إلى عالم البحر المتوسط فى العصور الوسطى ، حتى تم كشف أمريكا »(١٧٠) ولقد اعتمدت الدول الأوربية على الذهب الوارد إليها عن طريق غانه اعتماداً كبيراً(١٧١) كما كان الذهب الواصل إلى مراكش ، عنصراً هاماً فى اقتصاد تلك البلاد خلال تلك العصور (١٧٢).

أما كيف حصلت غانه وتجار غانه وكذلك تجار المغاربة الذين صحبوا تجار غانه ، على الذهب من منتجيه فى أعالى السنغال ، فإن ذلك كان يتم عن طريق ما اصطلح على تسميته بالتجارة الصامتة أو التبادل الصامت Silent Trade or Dumb-Barter or Commerce Muet

ويعنى هذا المصطلح التعامل والمساومة أو المبايعة — على قول المسعودى — بين أقوام لا يعرف أحدهم لغة الآخر أو يحرص أحدهم على الاحتفاظ بسر منابع ثروته ، خوفاً من النهب والسطو ، أو لأن قوماً من السذج يتعاملون مع قوم أدت حوادث التعامل معهم إلى انعدام ثقتهم فيهم ..

يذهب تجار المغاربة بسلعهم من المسابح والودع والمصنوعات والملح وغيرها إلى كومبى صالح ، عاصمة غانة ، وفيها يجدون زملاءهم وعملاءهم الغانيين فى انتظارهم ،

يخرج الجميع ، ويسيرون نحو عشرين يوماً إلى أعالى السنغال ، وفى أماكن معلومة ، يضرب التجار بطبولهم إعلاناً على وصولهم بالبضائع ، ثم يضعون سلعهم فى أكوام أو مقادير معينة على شاطىء النهر ، ويختفون ، وحينئذ يخرج الزنوج العراة ويضعون بجوار كل كومة أو مقدار من السلع ما يرونه نظيراً لها من الذهب ، ثم يختفون ، فيظهر التجار ، وإذا اقتنعوا بقيمة الذهب حملوه وانصرفوا بعد أن يضربوا بطبولهم إيذاناً بانتهاء التبادل أو السوق ، وإذا لم يقتنعوا بالذهب الموجود ، لم يقربوه وتركوه واختفوا مرة أخرى ، فيخرج الزنوج ويزيدون من كميات الذهب ، وتتكرر عملية الاختفاء والظهور حتى يتم الرضا والاقتناع من الجانبين .

وقد حاول التجار مرة أن يعرفوا شيئاً عن منابع الذهب ، فقبضوا على أحد الزنوج ، وعذبوه حتى مات ولكن دون أن يصرح بشىء ؛ ومن أجل هذا الحادث ظل الزنوج الوطنيون يمتنعون من الظهور والتعامل مع أولئك التجار نحو ثلاث سنوات حتى اضطروا لاستئناف التعامل بسبب شدة حاجتهم إلى الملح بصفة خاصة .

وقد أورد المسعودى وصفاً للتجارة الصامتة بصدد حديثه عن مملكة غانه قال : « وملكها — أى ملك غانة — عظيم الشأن ويتصل ببلاد معادن الذهب ، وبها منهم أمم عظيمة ولهم خط لا يجاوزه من صدر إليهم ، فإذا وصلوا إلى ذلك الخط ، جعلوا الأمتعة والأكسية عليه وانصرفوا ، فيأتى أولئك السودان ومعهم الذهب ، فيتركونه عند الأمتعة وينصرفون ويأتى أصحاب الأمتعة ، فإن أرضاهم وإلا عادوا ورجعوا . فيعود السودان فيزيدونهم حتى تتم المبايعة ، كما يفعل التجار الذين يتبايعون القرنفل من أهله سواء ؛ وربما رجع التجار بعد زوالهم مختفين ، فوضعوا النيران فى الأرض فيسيل الذهب ، فيسرقه التجار ثم يهربون لأن الأرض كلها ذهب عندهم ومعدن ظاهر ، وربما فطنوا بهم فيخرجون فى آثارهم وإن أدركوهم قتلوهم » (١٧٣).

لقد أورد هيرودوت ( ت حوالى ٤٥٠ ق.م ) وصف مثل هذا المنظر فيما كتب عن تجار القرطاجنيين قديماً فى الذهب ، وفى نفس المنطقة من غرب أفريقية (١٧٤) ويبدو أن هذه الطريقة كانت مألوفة فى كثير من أجزاء أفريقية ، وشرح التجار العرب وكذلك تجار البربر من صنهاجه للرحالة كادامستو ( فى القرن الخامس عشر الميلادى ) أن هذه التجارة لا زالت هى السائدة ؛ وكذلك وصفها رحالة آخرون .

على أن التجارة الصامتة لم تكن من خصائص غربى أفريقيا وحده ، وإنما عرفت فى تجارة الحرير كذلك فى القرن الأول الميلادى ؛ مارسها الرومان والصينيون عند شاطىء أحد أنهار بلاد بارثيا Parthia ؛ كذلك شهدها الرحالة الصينى فاهين Fa-Hein — فى القرن الخامس الميلادى فى جزيرة سيلان ؛ ويقال إن هذه التجارة كانت أمراً مألوفاً فى تجارة الذهب فى الحبشة خلال القرن السادس الميلادى ؛ وفى العصور الحديثة ، لا زالت صور من هذه التجارة تمارس بين أقزام الكونغو ... وبما إلى اليوم(١٧٥) .

وأما تجار الرقيق فقد راجت كذلك وجنت منها إمبراطورية غانة أرباحاً طائلة ، وكان فى العاصمة كومبى صالح سسوق رائجة لهذه التجارة ، وتمون السوق بالعبيد عن طريق الاقتناص من الحدود الجنوبية ، حيث يوجد الزنوج البدائيون ، وعمل أهل السودان الغربى والأوسط فى تجارة الرقيق فى جميع بلاد السودان بين المحيط الأطلسى والبحر الأحمر .

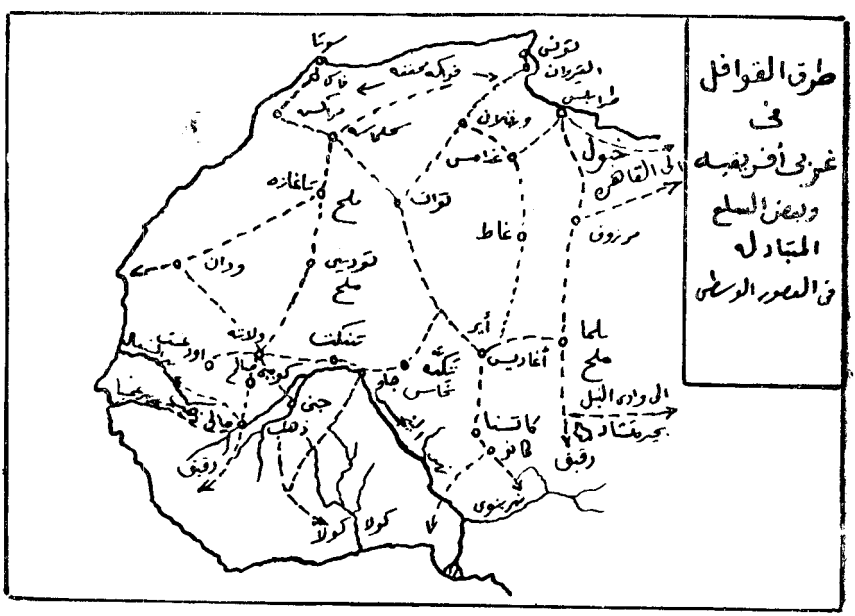


وحصلت غانة على رقيقها بصفة أساسية من القبائل المتوحشة التى عرفت فى الكتب العربية باسم الدمادم Dem Dem أو اللملمين Lem Lem فيقول البكرى :

« مملكة الدمدم غربى غانة ، يأكلون ما وقع لهم ، ولهم ملك كبير ومماليك تحت يده ، وعنده قلمة عظيمة ، عليها صنم امرأة يعبدونها » .

ويقول الإدريسى :

« وجنوب بريسى أرض لمـلم ، ويغير عليها أهل بريسى وسلى وتكرور وغانة ويسبون أهلها ، ويجلبونهم إلى بلادهم ، فيبيعونهم من التجار الداخلين إليهم ، فيخرجهم التجار إلى سائر الأقطار ، وإذا بلغ أحدهم الحلم فى أرض لمل ، وشم وجهه وصدغه بالنار علامة لهم » وفى موضع آخر يقوم الإدريسى :

« وجنوب غانة أرض الـكفار اللملمية » .

ونظراً لحاجة بلاد السودان إلى الملح وأهمية ذلك ، كان العبد يباع أحياناً بكمية من الملح لا تعدو قدر حجم قدمه ، فقد أورد الشنقيطى بصدد تجارة بلاده شنقيط — من أعمال سوس الأقصى بالمغرب — فى الملح مع بلاد السودان ، أن تجـارة أهل شنقيط كانت رائجة وأن « أعظم ما يتجرون به الملح إلى السودان ، يقال إن العبد كان يباع بحذائه ، أى نعله ، أى أن الملح يقطع على هيئة اللوح الـكبير فيشد بالحبال ويوضع على ظهر الجمل فإذا صار إلى السودان ، يجعل تحت قدم العبد منه مقدار نعل ، فيـكون قيمة له » . .

وذكر كذلك ، أن هذا كان فى الزمن القديم ، ثم حدث باتساع التجارة وكثرة وصول سلعة الملح إلى بلاد السودان ، أن صار الثمن المألوف للعبد أو الأمة هو حمل جمل من الملح قال :

وحمل الجمل يباع فى عبد أو أمة — وكل ما عند السودان يباع فى الملح كالخيل والثياب — والزرع والعبيد ، ويقال إنهم كانوا يبيعون أولادهم فيه » (١٧٦) .

* * *

قام البناء الاجتماعى فى إمبراطورية غانة على النظام القبلى ، شأن غيرها من الإمبراطوريات والممالك التى قامت بالسودان الغربى والأوسط ، غير أن قيام حكومة مركزية مسيطرة ، ساعد على اضعاف التناحر بين القبائل ، كما أن الإسلام وتعاليمه

كانت أكبر عامل فى اضعاف العصبية القبلية وأن لم تمحها ، فبفضل الإسلام والثقافة العربية الإسلامية ، اتصل الغانيول بأرقى الحضارات الإنسانية المعاصرة وهى الحضارة الإسلامية .

واشتهرت قبيلة السوننك بحماسها للدعوة الإسلامية ونشر فضائلها ، حتى غدا اسمها فى بعض جبهات حوض السنغال مرادفاً لكلمة « داعية »(١٧٧) .

ولما كانت قبيلة السوننك هى مؤسسة إمبراطورية غانة ، وأن الملكية فى بعض عشائرها ، امتازت هذه العشيرة عن غيرها من عناصر سكان غانة ، فكان منها أغلب جيش الإمبراطورية وكثير من كبار أعوان الملك .

أما أعمال الناس فى إمبراطورية غانه ، فتنوعت بين الزراعة والصناعة وممارسة بعض الحرف الأخرى ، فيما يشبه التخصص ، فمثلا اشتهرت عشيرة كروما Korma بالعمل فى صناعة الحديد ، فاشتهرت هى وغيرها ممن عمل فى هذه الصناعة باسم « قبيلة الحدادين »(١٧٨) والمعروف أن صناعة الحديد قديمة فى غربى أفريقية ولاسيما غانة (١٧٩) ، كذلك اشتهرت بعض القبائل بممارسة الزراعة ، عملا أساسياً لها ، وغيرها بالحياكة وأخرى فى الرعى ، والصيد وهكذا (١٨٠) .

وهناك طبقة التجار ، وهى طبقة ممتازة ، وتضم كثيراً من المسلمين الوطنيين فضلا عن العرب والبربر الذين استقروا فى كومبى صالح وغيرها من المدن التجارية الهامة مثل ولاته (١٨١) .

* * *

ونظراً لشهرة غانة بثرائها ، تمتع ملوكها بالنصيب الأوفى من هذا الثراء فضلا عن الترف والسعة ، وكانت مصالح الملوك وذويهم هى المفضلة دائماً ، وهذه ظاهرة عامة فى جميع الإمبراطوريات التى قامت بغربى أفريقيا ، فالعامل المشترك بينها جميعاً ، هو استغلال الرعاية لصالح الحاكمين المستبدين .

كان ملك غانة يستصفى الجيد من الذهب لنفسه (١٨٢) ، بل كان لبعض ملوكها المسلمين قطعة ذهب ضخمة فى قصورهم ، استخدموها مربطاً لخيولهم ، واختلف فى

وزنها ما بين ثلاثين رطلا وطن ، كما اقترن بهـا كثير من الأساطير ، واشتهرت وعرفت فى معظم أنحاء العالم (١٨٣) .

وعبارة ابن الوردى : « وفى قصره تبرة واحدة من الذهب كالصخرة العظيمة ، وفيها ثقب كالربط ، وهو مربط فرس الملك » (١٨٤) .

ويقول الإدريسى . . « والذى يعلمه أهل المغرب الأقصى علمـاً يقيناً لا اختلاف فيه ، أن له فى قصره لبنة من ذهب وزنها ثلاثون رطلا من ذهب تبرة واحدة ، خلقها الله تعالى خلقة تامة من غير أن تسبك فى نار أو تطرق بآلة ، وقد نقر فيهـا ثقب وهى مربط لفرس الملك ، وهى من الأشياء المغربة التى ليست عند غيره ولا صحت لأحد إلا له ، وهو يفخر بها على سائر ملوك السودان » (١٨٥) .

وقد تصرف بعض ملوك غانة المسرفين فى هذه القطعة ، فيقال إن بعض التجار المصريين اشتروا هذه القطعة ، ويقال كذلك أن وزنها يبلغ نحو طن (١٨٦) .

وقد وصف الأدريسى قصر ملك غانة ، الذى بناه عام ٥١٠ هـ / ١١١٦ م ، وما به من زخارف فقـال : « وله قصر على ضفة النيل (١٨٧) ، قد أوثق بنيـانه ، وأحكم إتقـانه ، وزينت مسـاكنه بضروب من النقوشات والأدهان شمسيـات الزجاج » (١٨٨) وكان طراز هذا القصر وما به من زخارف ونقوش وألوان وتحف ، قد استوردت من مصر وسوتا وصقلية (١٨٩) .

ونظام تحية الملك ، هو المألوف عند غيره من ملوك السودان الغربى ، وهو نظام التتريب وهى ظاهرة من العهد الوثنى ، وتقضى بأن يضع القـادم على الملك التراب على رأسه ، غير أن المسلمين فى غانه لم يمارسوها ، فـكانت تحيتهم للملوك غانه الوثنيين بالتصفيق باليدين .

يقول البـكرى : « فإذا دنا أهل دينه — أى دين الملك الغانى الوثنى — منه جثوا على ركبهم ونثروا التراب على رؤوسهم ، فتلك تحيتهم له . . وأما المسلمون ، فإنما سلامهم عليه بكون باليدين » (١٩٠) .

وعرفت هذه الظـاهرة عند ملوك مالى المسلمين ، وشهدها ابن بطوطة ولم

تعجبه[١٩١] . وانفرد ملوك غانة وولاة عهودهم بزى خاص يميزهم عن سائر الرعايا ، فضلا عن أنواع الحلى التى يتزينون بها .

يقول بها البكرى : « ولا يلبس المخيط من أهل دين الملك غيره وغير ولى عهده »[١٩٢] وفى موضع آخر ، يذكر البكرى : « وملكهم يتحلى بحلى النساء فى العنق والذراعين ويجعل على رأسه الطراطير المذهبة ، عليها عمائم القطن الرفيعة »[١٩٣] ، وعن الإدريسى فيما يلبسه ملوك غانا « أزار حرير يتوشح به أو بردة يلتف بها وسراويل فى وسطه ونعل شركسى فى قدمه ، وله حلية حسنة وزى كامل يقدمه أمامه فى أعياده[١٩٤] ...

أما زى سائر أهل غانة ، فهو كما يقول البكرى : « ملاحف القطن والحرير والديباج على قدر أحوالهم[١٩٥] ويقول الإدريسى : « ولباس أهل غانة الأزر والفوط والأكسية »[١٩٦] .

إلا أن الملك يتفق مع رعاياه ، فى مظهر واحد وهو حلق الشعر ، يقول البكرى : « وهم أجمع يحلقون لحاهم ، ونساؤهم يحلقن رؤوسهن »[١٩٧] .

* * *

ومن التقاليد التى سادت فى غانة الوثنية وأن شابتهـــا الأخبار الأسطورية : اختلاط الملك برعاياه وسمره معهم ، يذكر الفتاش عن ملك غانة الوثنى ، وأسند هذا إلى كيمع ، أى ملك الذهب ، أنه كان « يخرج بعد عشاء كل ليلة يسمر مع قومه ، ولا يخرج حتى يجتمع عليه ألف حزمة — أى حزمة حطب — ويجمعوها فى باب دار مملكته ، ويوقد تحته نار ، ويشتعل مرة واحدة ، ويضىء له ما بين السماء والأرض ، ويشرق البلد كله ، ثم يأتى ويجلس على منصة الذهب الأحمر . . ويأمر بعشرة آلاف من الموائد ويأكلون ، وهو لا يأكل ، فمتى تم الأكل ، يقوم ويدخل ولا يقومون حتى تصير الحزامات رماداً ، ثم يقومون ، وهذا على الدوام »[١٩٨] .

وهناك ما عرف باسم « حكم الماء » ، وهو نوع من نظم القضاء أو التحكيم فى العهد الوثنى ، شرح البكرى هذا التقليد بقوله :

« وببلاد غانة حكم الماء ، إذا اتهم أحد بسرقة أو قتل أو غير ذلك ، عمد أمينهم

إلى عود فيه حرافة ومرارة ورقة ، وصب عليه من الماء قدراً ما ، وسقاه المتهم ، فإن رماه من جوفه ، علم أنه برىء وهنىء بذلك ، وإن لم يرمه وبقى فى جوفه ، صحت الدعوى عليه »(١٩٩) .

ومن عادات الدفن فى العهد الوثنى ، دفن الملك ومعه المقربون إليه من خدمه ، فضلا عن طعامه وشرابه وحليه ، ولهذا شبيه فى بلاد الشرق القديم . وقد أفاض البكرى فى وصف هذا التقليد ، يقول :

« وديانانهم المجوسية وعبادة الدكاكير — أى الأصنام — إذا مات ملكهم عقدوا له قبة عظيمة ، من خشب الساج ووضعوها فى موضع قبره ، ثم أتوا به على سرير قليل الفرش والوطأ ، فأدخلوه فى تلك القبة ، ووضعوا معه حليه وسلاحه وآنيته التى كان يأكل فيها ويشرب ، فأدخلوا فيها الأطعمة والأشربة ، وأدخلوا معه رجالا ممن كان يخدم طعامه وشرابه ، وأغلقوا عليه باب القبة ، وجعلوا فوق القبة الحصر والأمتعة ، ثم اجتمع الناس ، فردموا فوقها بالتراب حتى تأتى كالجبل الضخم ، ثم يخندقون حولها ، حتى لا يوصل إلى ذلك الكوم إلا من موضع واحد ، وهم يجذبون لموتاهم الذبائح ويقربون لهم الخمور »(٢٠٠) .

ويبدو وضوح الأثر الشرقى القديم فى هذا التقليد ، فقد وجد عند ملوك السومريين القدماء(٢٠١) ، كما وجدت صور منه عند الفراعنة ، كذلك وجد هذا التقليد عند ملوك كاتسنا Kirina من دون الهوسا وذلك قبل اعتناقهم الإسلام(٢٠٢).

غير أنه عندما صارت الحكومة الغانية إسلامية منذ نهاية القرن الحادى عشر، اختفى هذا التقليد وحلت التقاليد الإسلامية ، وعثر على شواهد لقبور عليها بعض آيات القرآن الكريم ، فضلا عن دعوات لصاحب القبر ، وذلك باللغة العربية(٢٠٣) .

* * *

ومن ناحية الأحوال الصحية فى إمبراطورية غانة ، فهذه لم تكن ملائمة لسكنى الأجانب الذين لم يتعودوا عليها ، وهذا أمر واضح ، لسبب عدم ملائمة المناخ فى تلك البلاد لغير أهلها ، ولعدم وضوح واجب الحكومة فى العناية بالصحة العامة ، وكان البكرى صادقاً حين قال :

وغانه بلد مستوبية — أى موبوءة — غير آهلة ، لا يكاد يسلم الداخل فيها من المرض ، عند امتلاء زروعهم ، ويقع الموتان فى غربائها عند استحصاد الزرع»(٢٠٤).

* * *

وفى الحياة الروحية والثقافية ، برزت الآثار العربية الإسلامية ، وأوضح ما كانت فى العاصمة كومبى صالح والمدن الزاهرة الكبرى أمثال ولاته ونيمه وأودغست .

وقد ضمت غانه منذ فجر تاريخها ، وحتى قبل أن تتحول حكومتها إلى الإسلام ، نحو اثنى عشر مسجداً ، ألحق بكل مسجد مدرسة لتعلم القرآن وقواعد الدين واللغة العربية ، كما أن القسم الإسلامى من العاصمة كان مليئاً بالعلماء والفقهاء والأئمة(٢٠٥) وكذلك كانت ولاته ونيمه ، وأودغست التى كانت مراكز ثقافية عربية إسلامية كما كانت مراكز لنشر الدعوة الإسلامية .

كانت اللغة العربية هى لغة العبادة والثقافة الوحيدة فى البلاد ، وهذا بجانب كونها لغة التجارة المستعملة فى التبادل التجارى والمكاتبات ، واحتلت هذه اللغة فى غانة وفى غيرها من بلاد السودان الغربى والأوسط المكانة التى احتلتها اللغة اللاتينية فى أوربا فى العصور الوسطى ، بل زادت عليها إذ بقيت اللغة العربية بتلك البلاد لغة للدين والثقافة حتى فى العهد الاستعمارى ، بينما زالت اللغة اللاتينية تدريجياً أمام زحف اللغات الجرمانية القومية بأوربا فى تلك العصور ، أكثر من هذا ، شهد بعض المكتشفين والمستمرين فى مطلع العصور الحديثة بأن إلمام سكان غربى أفريقيا باللغة العربية ، يفوق إلمام أوربا باللغة اللاتينية فى العصر الوسيط(٢٠٦) .

أقبل الأفريقيون المسلمون على مناهل العلم العربية فى حماس تلقائى ، بسبب ما اتصف به انتشار الإسلام ولغته من تسامح وفضائل ، وبفضل ما امتاز به المسلمون من العرب والبربر الذين استقروا فى غانة وغيرها من بلاد السودان ، والذين اتصلوا بتلك البلاد ، من كفاءة وخبرة فى شتى الميادين الاقتصادية والإدارية فضلا عن الجانب الثقافى ، إذ كان المسلمون يمثلون حضارة رفيعة ومدنية سامية بدليل استعانة ملوك غانة الوثنيين بهم فى أجل أعمالهم(٢٠٧) .

ومن ناحية العلاقات الخارجية ، أبرزها العلاقات التجارية والثقافية ، وهى العلاقات التى ربطت غانه ببلاد البحر المتوسط ، فقد كان ذهب غانه ووارثتها مالى ، عنصراً أساسياً فى اقتصاديات شمالى أفريقية بصفة خاصة ، وكذلك بالنسبة لأوربا وعلى الأقل قبل كشف أمريكا(٢٠٨) .

ومن البيوت التجارية التى ساهمت فى تنشيط هذه العلاقة ، على نحو منظم ، شركة المقرى جداً الكاتب المعروف أحمد بن محمد المقرى المتوفى عام ١٦٣٣ م ، وهو صاحب كتاب نفح الطيب ، ويحتمل أن هذه الأسرة بدأت أعمالها التجارية منذ القرن الثانى عشر الميلادى أى قبل نهاية إمبراطورية غانه بما يقرب من قرن ، وكان لها ممثلون فى مدينة ولاتا الخاضعة لغانا وقد شهد هؤلاء المقيمون فى ولاتا نهاية إمبراطورية غانه على يد الصوصو عام ١٢٠٣ ، وهجرة العلماء والتجار المسلمين من كومبى صالح إلى ولاته بعد دخول الصوصو(٢٠٩) .

وظهرت غانه فى الخرائط التى صدرت بأوربا فى العصور الوسطى عن مدرسة ميورقه ، ففى الخريطة القطالونية أو الأطلس القطالونى لابراهام كرسك A. Cresques ( ١٣٧٥ ) — ظهرت مدينة نيمه Nayma باعتبارها المركز الرئيسى لإمبراطورية غانه Guynoa كذلك ظهر اسم غانه Gheneoa على خريطة فلادست Vill adestes ( ١٤١٣ ) ، وأشارت هـذه الخريطة أيضاً إلى أمير المرابطين باسم Rev Bubeder والمقصود به الأمير أبو بكر الذى فتح غانه ١٠٧٦ ومد ملك المرابطين إلى جنوبى الصحراء(٢١٠) .

وازدادت علاقات غانة مع بلاد العـــالم الإسلامى الشرقى فى عهد الحكومة الإسلامية التى قامت فى غانه منذ أواخر القرن الحادى عشر الميلادى ولا سيما بعد أن اتصل ملوك غانة المسلمون بالخلافة العباسية وربطوا أنفسهم بها ، وقاموا فى بلادهم كممثلين للخلتفة العباسى ، بل ادعوا النسب العلوى(٢١١) فانتشرت التقاليد الشرقية فى غانة ، ومنها لبس العمامة ، كما أن صلة مصر لم تنقطع بغانه وغيرها من بلاد السودان الغربى والأوسط ، فإن مصر تقع على طريق الحاج ، وظلت أهمية مصر قائمة بالنسبة لبلاد غربى أفريقية ، رغم اضطراب أحوال الشرق الأوسط منذ أواخر القرن الحادى عشر بسبب الصراع الداخلى فى مصر أواخر العصر الفاطمى ثم حلول الخطر

الصليبي الاستعماري ببلاد الشرق الأوسط منذ عام١٠٩٩م ومحاولة قادة المسلمين توحيد الجبهة الإسلامية للجهاد ضد العدو المشترك ، وهي المحاولة التي بلغت ذروة النجاح في عصر صلاح الدين المتوفى عام١١٩٣م ، أي قرب نهاية إمبراطورية غانة الإسلامية .

وحتى بعد سقوط غانة ، ظل حجاجها يمرون بالقاهرة ، وقد شاهد ابن خلدون بعض حجاج كومبي صالح في القاهرة عام ١٣٩٠ م ، وهم في طريقهم إلى الحج .

* * *

أما الجيران الأفريقيون الأقربون إلى غانة ، فكانت علاقتهم بها أقرب إلى الصراع المستمر منها إلى الهدوء والاستقرار ، ولا سيما تلك الممالك التي خضعت لغانة وكانت تدفع لها الجزية ، لكنها تتحين الفرصة للخروج عليها ، فمن جيران غانة الغربيين ، مملكة التكرور ، وهذه استطاعت أن تحتفظ باستقلالها وقوتها ضد توسع جارتها الشرقية القوية ، وكانت مملكة تكرور أسبق من غانة في اعتناق الإسلام ، وازدهرت في القرن الحادي عشر إلى أن طوتها إمبراطورية مالي ومن بعدها صنغي[٢١٢] . وهناك مملكة سلي الإسلامية التي استطاعت أن تحتفظ باستقلالها أيضاً ، كما أن مملكة ماسنة في الجنوب الشرقي من غانة ، وملوكها من الفولانيين ، وأغلب سكانها من البربر والفولانيين ، لم تخضع لغانة .

وفي جنوبي غانة تقع مملكة الصوصو في كانياجا ، وهذه خضعت لغانه ودفعت لها الجزية لكنها لم تخلص لها إذ كان الصوصو حينئذ على الوثنية ، بينهما كانت غانة حافلة بعدد كبير من المسلمين ، ولذلك عند ما داهم المرابطون غانة عام ١٠٧٦ م ، استقلت كانياجا ، وأضحت هي الخطر الأكبر على غانة فيما بعد ؛ وأما مملكة مالي في ذلك الوقت ، فكانت بعيدة عن غانة ولم يكن خطرها قد وضح بعد .

ومن أقوى ممالك البربر المجاورة لغانة من ناحية الشمال ، مملكة أودغست حيث تسود قبائل لمتونة القوية ، ومع أن غانة استولت على أودغست حوالي عام ٩٩٠ م ، إلا أنها استعادت استقلالها بعد صراع طويل[٢١٣] .

* * *

جاءت نهاية إمبراطورية غانة واختفاؤها عن مسرح التاريخ السياسي في غربي

أفريقيا فى مطلع القرن الثالث عشر الميلادى ، غير أن عوامل الإنهيار بدأت قبل ذلك بأمد طول ، وأولها عامل طبيعى ، بدأ قبل القرن الحادى عشر ، وهو الجفاف التدريجى الذى حل بالمناطق الواقعة شمالى حوض السنغال ، مما حمل الناس على الهجرة والتفرق (٢١٤) وجاء العامل الآخر وكان حاسماً ، وهو الغزو الحربى لبلاد غانه ، وما يعقبه عادة من انفلات زمام السلطة واختلال الأمن فى الداخل وخروج الإمارات أو الممالك الخاضعة لغانة ، وتطلعها إلى السلطة والسيادة .

ويمكن تقسيم الغزو الحربى إلى ثلاثة فصول ، أولها استيلاء المرابطين على غانة قرب نهاية القرن الحادى عشر ، إلا أن غزو المرابطين لم يؤد إلى اختفاء غانة ، وإنما أدى إلى تحول حكومة غانة إلى الإسلام كما أن سيادة المرابطين على غانه أو نفوذهم فيها لم يستمر طويلا ، فقد استطاع السوننك أن يستعيدوا استقلالهم عقب وفاة ابن بكر أمير المرابطين عام ١٠٨٧ م .

والذى اقترن بفتح المرابطين لغانة ، هو اضطراب الأمن وتزعزع الولاء نحو السوننك من قبل الممالك الخاضعة لهم ، وثانيها غزو الصوصو فى مطلع القرن الثالث عشر ، وهو الذى أنهى إمبراطورية غانة ، ثم جاء الفصل الأخير قبيل منتصف النصف الأول من القرن الثالث عشر ، وذلك على يد إمبراطورية مالى النامية فى كانجابا وكان متمماً لحركة الصوصو .

تعرضت غانة لزحف المرابطين ، إذ كانت وثنية ملوكها المعاصرين قد جعلتها هدفاً من أهدافهم للقضاء عليها وتعميم العقيدة الإسلامية فى جميع أنحاء بلاد السودان ، بالإضافة إلى مطامع المرابطين فى ذهب السودان وثرواته الأخرى .

بدأ غزو بلاد السودان جنوبى الصحراء الكبرى فى حياة ابن ياسين ( ت ٤٥١ هـ/١٠٥٩ م ) القطب الروحى لحركة المرابطين وإمبراطوريتهم ، واشتد الضغط والإلحاح على غانة زمن إمارة أبى بكر بن عمر اللمتونى ( ت ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م )(٢١٥) .

فتح المرابطون مدينة أودغست عام١٠٥٥م وعاقبوها على خضوعها لامبراطورية غانة واستسلامها لها بدفع الجزية وقبول سيادة السوننك ، فترة من الزمن(٢١٦) ؛ وبعد أن فرغ المرابطون من أودغست ، اتجهوا إلى كومبى صالح عاصمة غانة نفسها

واقتحموها عام ١٠٧٦ م وأقاموا عليها حاكماً مسلماً(٢٢٧) . ومنذ ذلك الوقت صار ملوك غانة مسلمين ، سواء كانوا تابعين للمرابطين حتى عام ١٠٨٧م أم انفصلوا عنهم بعد ذلك العـــام ، وهو سنة وفاة أبي بكر زعيم المرابطين ، وأعلنوا تبعيتهم للخليفة العباسي في بغداد مباشرة(٢١٨).

أدى هذا الغزو إلى خروج بعض الممالك الخاضعة للامبراطورية ، وإعلان استقلالها بحيث لم تعد سلطة ملوك غانة المسلمين نافذة إلا في مناطق أوكار وباسيكور، وديارا(٢١٩).

كانت الصدمة الثانية هي القاضية على الوجود التاريخي لإمبراطورية غانة ، أما فتح المرابطين السابق ، فلم يترتب عليه زوال غانة ؛ جاءت هذه الصدمة القاضية على يد قبائل الصوصو الوثنيـة في ذلك الوقت Soso أو Soso أو Su Su ، والصوصو فرع من الفولانيين ، هاجر من بلاد تكرور وكون طبقة حاكمة في إقليم كانياجا Kamiaga التابع لامبراطورية غانة ، وظل حكام الصوصو يدفعون الجزية لحـكومة غانة فترة طويلة ، حتى إذا كان فتح المرابطين لغانة عام ١٠٧٦م خرج الصوصو وأعلنوا استقلالهم وانفصالهم عن غانة وأخذوا يتوسعون فيما حولهم حتى إنهم انتزعوا إقليم ديارا من غانة الإسلامية أواخر القرن الثاني عشر(٢٢٠) .

وفي مطلع القرن الثالث عشر ، استولى أعظم أباطرة الصوصو وهو سومانجورو Sumanguru على العاصمة كومبي صالح عام ١٢٠٣ م(٢٢١) وبذلك أنهى الصوصو سيادة الملوك الغانيين المسلمين ، فتفرقوا في البلاد ، كما أن عدداً كبيراً من المسلمين من سكان العاصمة الغانية ، هاجر بزعامة رجل اسمه الشيخ إسماعيل ، واتجهوا إلى مدينة ولاتا ، حيث أقاموا مركزاً تجارياً لهم ، وسرعان ما ازدهرت هذه المدينة حتى صارت من أعظم المراكز التجارية في السودان الغربي(٢٢٢) .

وسع سومانجورو إمبراطورية الصوصو وتوجه نحو الجنوب حيث توجد دولة الماندنجو النامية في كانجابا وهي التي اشتهرت باسم امبراطورية مالي ، ويقال إن سومانجورو قتل أولاد الملك الماندجي « ناري فامغان » N. Famagham ( حكم من حوالي ١٢١٨ — إلى حوالي ١٢٣٠ م ) من أسرة كيتا ؛ وكانوا اثني عشر ولداً ، إلا أن أصغرهم قـد أفلت من القتـل ، وهو الذي اشتهر باسم « ماري جاطه » أي ولد الأسد .

على أن نهاية إمبراطورية الصوصو وسومانجورو نفسه جاءت على يد مارى جاطه الذى ضم جميع أملاك الصوصو بما فيها أراضى إمبراطورية غانه إلى إمبراطورية الماندجو وذلك بعد واقعة حربية فاصلة عام ١٢٣٥ م كيرينا عند Kirina ؛ ويحتمل أنها تقع شمالى كوليكورو فى أعالى نهر النيجر .

وفى عام ١٢٤٠ م نجح مارى جاطه فى تدمير مابقى من كومبى صالح عاصمة غانه وهى التى أفل نجمها منذ هجرها المسلمون على إثر غزو الصوصو ؛ وتدمير العاصمة فى عام ١٢٤٠ م هو الفصل الثالث أو الحلقة الأخيرة فى اختفاء إمبراطورية غانه(٢٢٣) .

* * *

تلك كانت نهاية إمبراطورية غانه الإسلامية ؛ أما الجمهوريات الحديثة التى قامت على أنقاضها ، أوضمت أجزاء منها ، فهى جمهورية مالى (استقلت ١٩٦٠) وجمهورية موريتانيا ( استقلت ١٩٦٠ ) .

بقى أن نتساءل :

لم اتخذت جمهورية غانه الحديثة اسم « غانه » وهو اسم إمبراطورية غانه التاريخية ؟

الراجح أن جمهورية غانه الحديثة استعارت هذا الاسم التاريخى العريق من باب التيمن باسم عريق لأول إمبراطورية قومية أفريقية قامت بالسودان الغربى ، أقامها شعب أفريقى وطنى، هوشعب السونك أوقبائل السونك . لقد اتخذت جمهورية غانه هذا الاسم من أجل الفأل بعودة المجد القومى الأفريقى السابق .

ثم إن أراضى امبراطورية غانه القديمة ، تبعد عن حدود جمهورية غانه الحديثة بنحو ألف ميل ، إلا أن هناك احتمالا ، بأن حدود إمبراطررية غانه السابقة قد وصلت إلى المشارف الشمالية لحدود جمهورية غانه الحديثة ، مما يفسر حرص جمهورية غانه على هذا الاسم ، وربما رأت جمهورية غانه الحديثة أنها أول مستعمرة إنجليزية ظفرت بالاستقلال فى غربى أفريقية فى ٦ مارس ١٩٥٧ م ، فهى من أجل ذلك أجدر بأن تحمل اسم أول إمبراطورية أفريقية قامت فى غربى أفريقية .

ومن الاحتمالات كذلك ، فى تعليل اتخاذ جمهورية غانه اسمها ؛ ما تواتر من أن أسلاف قبائل الآكان Akan أغلب سكانها جمهورية غانه الحالية ، كانوا يقيمون عند الحدود الجنوبية لإمبراطورية غانه القديمة ؛ وأنهم هاجروا من تلك المناطق إلى أراضى جمهورية غانه ( ساحل الذهب سابقاً )[٢٢٤] فى الفترة ما بين القرن الثالث عشر الميلادى والسابع عشر ، أى منذ تدهور امبراطورية غانه السابقة على يد الصوصو فى مطلع القرن الثالث عشر ، بل يقال إن أوائل المهاجرين من الأكان تحركوا من غانه على أثر دخول المرابطين العاصمة عام ١٠٧٦ م ومن فروع الأكان قبائل أطلقت على نفسها اسم الأشتانتى Ashanti عندما انفصلت عن أشقائها واخترقت الغابات الاستوائية ، منذ القرن الخامس عشر الميلادى ، لهذه الصلة القديمة جانب فى تفسير اسم جمهورية غانه الحديثة[٢٢٥] .

# الحواشى والمراجع

(١) Church, R.G., West Africa, A Study of the Environment and Man's Use of It, p. 237 ; L. Lugard, A Tropical Dependency, p. 95 ; Hogben, S.J., The Muhammadan Emirates of Nigeria, p. 28; lCooley, W.D., The Negroland of the Arabs, pp. 33-47 ; Wiedner, D.L., A Hist. of Africa South of the Sahara, p. 28; Talbot, P.A., The Peoples of Southern Nigeria, p. 62 ; Bernard, H., Afrique Septentrionale et Occidentale (Géogr. Univ.) T. XI, p. 428 ; Baumann H. and Westermann, D., Les Peuples et les Civilisations de l'Afrique, p. 392.

(٢) تاريخ الفتاش ص ٤٢ .

(٣) استعمل ترمنجهام كلمة جانا Ghana للدلالة على الإمبراطورية ، وكلمة غانه للاشارة إلى جمهورية غانه الحديثة ( راجع كتابه : Islam in West Africa, p. 3. .

(٤) فى كتابه : L'Islam dans l'Afrique Occidentale Française, p. 50, No. 1.

انظر كذلك : Dudly Stamp, Africa, A Study in Tropical Development, p. 271 ; Okafor (In the New West Africa), p 27.

(٥) وعبارة مارمول : "Gualata quo Otros Ilaman Ganata" .

راجع كتابه : L'Afrique, Paris, 1661 ، وانظر كذلك :
Bovill, E.W., The Golden Trade of the Moors, p 85

(٦) Fage, J.D., Introduction to the Hist. of West Africa, p. 20

(٧) De La Roncière, Ch., La Découverte de l'Afrique au Moyen-Age, I, p. 103

(٨) المغرب ص ١٧٥ . انظر كذلك : الشنقيطى : الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط ص ٤٣٧ — ٤٤٤ .

(٩) معجم البلدان ج ٣ ص ٢٧٠ .

(١٠) صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٨٤ .

(١١) الإلمام ص ٢٢ ، انظر كذلك : ابن الفقيه : كتاب البلدان ص ٦٨ ، ٨٧ .

(١٢) نعيم قداح : أفريقيا الغربية فى ظل الإسلام ص ٢٨ .

(١٣) L. Lugard, loc. cit., p. 54 ;

(١٤) هذه الإمبراطوريات للمؤلف تحت الطبع .

(١٥) إمبراطورية مالى للمؤلف فى المطبعة راجع :
Mc Cullock, M., The Peoples of Sierra Leone Protectorate (Ethnography Survey of Africa, edited by D. Forde), pp. 1-4 ; Hollis, A.C., The Mandi, their language and folklore, pp 1-5.

(١٦) الصيغة العربية عن البكرى والإدريسى .

(١٧) الصيغة العربية عن الفتاش والسعدى .

(١٨) انظر ما يلى :

(١٩) راجع : L. Lug., loc. cit., p. 59 ; Baumann, loc. cit., p. 453 Wiedner, loc. cit., p 28 ; Bovill, loc. cit., pp. 69, 81, 194 ; Bernard, loc. cit., p. 423 ; Le Chatelier, A., L'Islam dans l'Afrique Occidentale, pp. 95, 101-102 ; Urvoy, Y., Petit Atlas Ethno-Démographique du Soudan, p. 29 ; Spitz, G., L'Ouest Africain Français, p. 61 ; De La Roncière, loc. cit., p. 84 ; Trimingham, loc. cit., pp. 13-14 ; Palmer, R. The Bornu Sahara and Sudan, The Map (Pocket at End); سلجمان : السلالات البشرية فى أفريقيه ( الترجمة العربية ) ص ٤٥ ؛ امبراطورية البرنو الإسلامية للمؤلف فى المطبعة .

انظر كذلك : Binger, Du Niger au Golfe de Guinée, (Paris. 1892).

(٢٠) انظر خريطة إمبراطورية غانة .

(٢١) Fage, p. 18 ; Gouilly, p. 50 ; Wiedner, p. 28 ; Spitz, p. 61.

(٢٢) De Pedrals, Manuel Scientifique de l'Afrique Noire. pp. 131-132 ; Spitz, p. 61.

(٢٣) De La Roncière, I, pp. 86, 102-108. ، انظر كذلك : Nahoum Slousch, Etude sur l'Hist des Juifs au Maroc (Paris, 1905)

(٢٤) Hogben, p. 27.

(٢٥) تاريخ السودان ٩ .

(٢٦) Bovill, p. 69 ; Hogben, p. 27 ; Baumann, p. 392 ; Fage, p. 18 ; Yver, p 139 ; Davidson, Old Africa Rediscovered, p. 63.

(٢٧) نقلتها المراجع الأجنبية Wakore

(٢٨) نقلتها المراجع الأجنبية Wangara

(٢٩) الفتاش ص ٤٢

(٣٠) نقلتها المراجع الأجنبية Baghana

(٣١) تاريخ السودان ص ٩ ، انظر كذلك : Fage, p. 18 ; Okafor, p. 27 ; L. Lug., p. 90 ; De La Roncière, I, p. 103 ; De Pedrals, p. 132.

(٣٢) الفتاش ص ٤١

(٣٣) الفتاش ص ٤١ ، انظر كذلك : De La Roncière, I, p. 103.

(٣٤) الفتاش ص ٤١

(٣٥) اختلفت المصادر فى تحديد نهاية حكم الأسرة الأولى هذه ، فذكر بعضها أنها انتهت عام ٧٧٠ م ، بينما ذكر البعض الآخر أن نهايتها كانت فى عام ٧٩٠ م .

(٣٦) Spitz, p. 61.

(٣٧) راجع Bovill, pp. 67-68.

(٣٨) الفتاش ص ٤١

(٣٩) De La Roncière, I, p 86 ; Fage, p. 18 ; De Pedrals, pp. 132, 392.

(٤٠) الفتاش ص ٤٢

(٤١) أنظر ما يلي: Fage, p. 18 ; De Pedrals, pp. 59-62, 132, 151-152

(٤٢) Baumann, p. 390 ; Davidson, p. 64.

(٤٣) المغرب ص ١٧٤ ؛ أنظر كذلك :

L. Lug., p. 95 ; Hogben, p. 28 ; Wiedner, p. 28 ; Bovill, p. 69 ; Pedrals, p. 132 ; De La Roncière, I, pp. 86, 103

(٤٤) الفتاش ص ٤١

(٤٥) تاريخ السودان ص ٩

(٤٦) Yver, p. 139

(٤٧) أودغست لا وجود لها اليوم ، وكانت تقع بحسب رواية البكرى على بعد مسيرة نحو شهرين من سجلماسه وخمسة عشر يوماً من عاصمة غانة ، ومكانها الآن تجداوست Tegdaoust شرق منطقة تاجانت Tagant وتقع ضمن جمهورية موريتانيا الحديثة .

راجع : الشنقيطى : الوسيط ص ٤٣٧ ؛ وعنه أخذت الصيغة العربية الأصلية لنطقة تاجانت كما كان ينطقها العرب ؛ المغرب ص ١١٩ Baumann, p. 392 ; Bovill, p. 69.

(٤٨) البكرى ص ١٧٩ ؛ تقويم البلدان ص ٧٢ — ٧٣

Fage, p. 21 ; Davidson, p. 85 ; Le Chatelier, pp. 12-128 ; L. Lug., pp. 91-93 ; De Pedrals, p. 132 ; Yver, p. 139 ; De La Roncière, I, pp. 83-84, 129, II, p. 143

(٤٩) المغرب ص ١٧٩ ؛ أنظر كذلك : الشنقيطى : الوسيط ص ٤٤٢ ؛ نزهة المشتاق ص ١٠ ؛ Okafar, p. 27. Delafosse, Traditions..., pp. 6-18.

(٥٠) أنظر خريطة إمبراطورية غانة .

(٥١) نزهة المشتاق ص ١٤ ؛ قداح ص ٢٧ — ٢٩

Bovill, pp. 69, 84 ; Okafar, p. 27 ; Fage, pp. 18-19, 22 ; Davidson, pp. 84-85 ; Hogben, p. 28 ; Gouilly, p. 50 ; Yver, p.. 139

(٥٢) أخبار الزمان ( مخطوط ) ورقة ٣٩ أ

(٥٣) الفتاش ص ٤١

(٥٤) Yver, p. 139 ; Davidson, p. 63 ; De Pedrals, p. 132 ; Spitz, p. 61 ; Baumann, p. 391 ; Gravier, Recherches sur les Navigations Europeennes faites au Moyen-Age, p. 17.

(٥٦) أخذت الغابة اسمها من الأخراش التى كانت تحيط بها .

(٥٧) المغرب ص ١٧٤ — ١٧٥ ؛ أنظر كذلك :

Davidson, p. 89 ; Hogben, p. 28 ; Bovill, p. 81

(٥٨) راجع تاكيتوس والشعوب الجرمانية للمؤلف ص ٥٥

(٥٩) نزهة المشتاق ص ٦

(٦٠) نزهة المشتاق ص ١١

(٦١) تاريخ ابن الوردى ص ١٥٨

(٦٢) صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٨٤

(٦٣) الإلمام ص ٢٣

(٦٤) ليو الأفريقى: الكتاب السابع ص ٢٨٥ — ٢٨٦ ، ٢٩١

(٦٥) Cooley, p. 45-47

(٦٦) Fage, p. 20 ; L. Lug., p. 93
Shinnie, Ancient African Kingdoms, pp. 47-48

(٦٧) Bovill, pp. 80-81 ; Gouilly, pp. 50-51

(٦٨) Hogben, p. 28

(٦٩) De La Roncière, I, pp. 86-87, 108

(٧٠) قداح ص ١٥٤

(٧١) Church. p. 238 ; Shinnie. loc. cit., p. 49 ; Davidson, p. 86

(٧٢) Davidson, p. 86 : أنظر : خريطة مدينة كومبى صالح .

(٧٣) Davidson, p. 86 ; Bovill, p. 68

(٧٤) Davidson, p. 85

(٧٥) قداح ص ٣٤ ؛ Shinnie, p. 48 ; Davidson, p. 87 ; De Pedrals, pp. 131-132.

(٧٦) Shinnie, p. 45

(٧٧) Shinnie, p. 48 أنظر اللوحات

(٧٨) Ibid., p. 49 أنظر اللوحات

(٧٩) Shinnie, p. 49 ; Davidson, p. 87 أنظر اللوحات

(٨٠) Bovill, pp. 68-69 ; De La Roncière, I, pp. 85-86 ; De Pedrals, p. 133

راجع كذلك : Mauny, R., Gravures, Peintures et Inscriptions Rupestres de l'Ouest African (Dakar, 1954).

به مجموعة من الصور والخرائط والبيانات عن المواقع التى تمت فيها عمليات الحفر فى كاوار وتاجانت وولاته وغيرها ، فضلا عن مجموعة قيمة من المراجع العلمية . وقد صدر هذا الكتاب أو هذا التقرير عن المعهد الفرنسى لأفريقية السوداء (I.F.A.N.)

(٨١) صورة الأرض ص ١٠١

(٨٢) صورة الأرض ص ١٠١

(٨٣) L. Lugard, p. 107

(٨٤) البكرى ص ١٥٩

(٨٥) كتبتها المراجع الأجنبية Silla

(٨٦) المغرب ص ١٧٢–١٨٣ ؛ أنظر كذلك نزهة المشتاق ص ٣ ؛ ديشان : البيانات فى أفريقية السوداء ( الترجمة العربية ) ص ١٢٥

(٨٧) المغرب ص ١٧٩

(٨٨) صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٨٤

(٨٩) المغرب ص ١٧٤ — ١٧٥ ؛ راجع ما سبق عن العاصمة .

(٩٠) المغرب ص ١٧٥

(٩١) المغرب ص ١٧٥

(٩٢) المغرب ص ١٧٥ ؛ أنظر كذلك :

L. Lugard, p. 95 ; Bovill, pp. 81, 84 ; Hogben, p. 28 ; Davidson, p. 29 ; Fage, p. 21

(٩٣) De La Roncière, I, p. 103

(٩٤) Bovill, p. 84

(٩٥) الاستقصاء ج ٢ ص ٢٠ — ٢١ ، ابن الخطيب : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ص ٦ — ١١ ، الديانات فى أفريقيا السوداء ص ١٢٢ — ١٢٣ أوليفر ، فيج : موجز تاريخ إفريقية ( الترجمة العربية ) ص ٩١ — ٩٣

Davidson, p. 85 ; Fage, p. 22 ; Bovill, pp. 84-85 ; De La Roncière, I, pp. 84, 86, 134 ; De Pedrals, p. 147 ; Shinnie, p. 50 ; Marty, Etudes sur l'Islam et les Tribus Maures p. 2 ; Rinn, Marabouts, p. 14 ; Largeau, Le Sahara Algérienne, pp. 109-123 ; Hodgkin, T., Islam and National Movement in West Africa (Conference on Afr. Hist. and Arch., London, 1961).

أنظر كذلك :

René-Basset, Mission au Sénégal, Recherches Historiques sur les Maures (Paris, 1910), p. 463 ; Brevié, Islamisme contre Naturisme au Soudan Français, p. 143.

(٩٦) قداح ص ٣٠

(٩٧) أنظر ما يلى وراجع : الديانات فى أفريقيا السوداء ص ١٢٣

(٩٨) الاستقصا ج ٢ ص ٢١ — ٢٢ Hogben, p. 27

(٩٩) Davidson, p. 88

(١٠٠) Trimingham, pp. 13-14 أنظر خريطة نشاط قبائل السوننك فى الدعوة إلى الإسلام فى السودان الغربى .

(١٠١) الغرناطى : كتاب تحفة الألباب ص ٤٢

(١٠٢) المغرب ص ١٧٧

(١٠٣) المغرب ص ١٧٧ ؛ أنظر كذلك Bovill, p. 84 ; Davidson, p. 88

(١٠٤) نزهة المشتاق ص ٦ ، أنظر كذلك :
De La Roncière, I, p. 85 ; L. Lugard, pp. 98-99

(١٠٥) تاريخ ابن الوردى ص ١٦٠

(١٠٦) الإلمام ص ٢٢

(١٠٧) إمبراطورية مالى للمؤلف ، وراجع التعريف ص ٢٧

(١٠٨) إمبراطورية مالى للمؤلف ، وراجع التعريف ص ٢٧

(١٠٩) إمبراطورية برنو للمؤلف وراجع :
Palmer, The Bornu Sahara and Sudan, pp. 7-8

(١١٠) المغرب ص ١٧٥

(١١١) المغرب ص ١٧٥

(١١٢) راجع ما سبق وانظر البكرى ص ١٧٤ ؛
Hogben, p. 28
Davidson, pp. 88, 90 ; L. Lug., pp. 95, 119

(١١٣) راجع السعدى ص ٢٠ — ٢٢ ؛
L. Lug., pp. 113-114
Baumann, pp. 31, 409-410 ; Palmer, op. cit., pp. 7, 55, 81-82 ; Fournel, op. cit., p. 198.

(١١٤) تحفة النظار ج ٤ ص ٤٤٣

(١١٥) صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٩٤ ، إمبراطورية مالى للمؤلف .

(١١٦) قداح ص ١٠٤

(١١٧) إمبراطورية مالى للمؤلف وراجع Monteil, pp. 59-60

(١١٨) إمبراطورية بورنو للمؤلف ؛ Palmer, pp. 6, 92, 209-210

(١١٩) المغرب ص ١٧٥

(١٢٠) تاريخ ابن الوردى ص ١٦٠

(١٢١) البكرى ص ١٧٥

(١٢٢) Tagant الصيغة العربية عن الشنقيطى . ويقول : إن معنى هذه الكلمة ( تا كانت ) الغابة ( ص ٤٢٨ )

(١٢٣) Baghan — الصيغة العربية عن السعدى

(١٢٤) قداح ص ٢٩ ، ١٠٩ ؛ Bovill, pp. 84-85 ; Fage, p. 22 ؛ Davidson, p. 85 ، أنظر ما يلى وراجع الخريطة رقم ١

(١٢٥) Bovill, p. 84

(١٢٦) قداح ص ٥١ ، ١١١

(١٢٧) Okafor, p. 27

(١٢٨) المغرب ص ١٧٥ ؛ راجع ما سبق وانظر :
Bovill, p. 81
Fage, p. 21

(١٢٩) الحجف بفتح الجيم والحاء جمع حجفة ، وهو الترس الماخوذ من جلود وليس فيه خشب ولا عقب ( المختار ، القاموس المحيط ) .

(١٣٠) الساجور خشبة تجعل في عنق الكلب ، ويقال كلب مسوجر ( المختار ، القاموس المحيط ) .

(١٣١) دبا Daba أو دابا Daba بلغة السونغاى طول ملكية ، ولا زالت تعرف إلى اليوم بهذا الإسم عندهم — راجع
Bovill, p. 81
Davidson, p. 85 ; L. Lug, p. 99

(١٣٢) المغرب ص ١٧٥ — ١٧٦

(١٣٣) نزهة المشتاق ص ٧

(١٣٤) نزهة المشتاق ص ٧ ؛ أنظر كذلك De Pedrals, p. 133

(١٣٥) المصدر السابق

(١٣٦) تاريخ ابن الوردى ص ١٦٠

(١٣٧) قداح ص ٣٧

(١٣٨) Bovill, p. 82 ; Davidson, p. 85 ; Spitz, p. 61

(١٣٩) البكرى ص ١٧٧

(١٤٠) Davidson, pp. 84-85 ; Shinnie, p. 47 ; Bovill, p. 82

(١٤١) تاريخ ابن الوردى ص ١٥٨

(١٤٢) أنظر خريطة القوافل وراجع :
Fournel, pp. 115-133
168-190 ; Okafar, p. 27 ; Bovill, p. 82

(١٤٣) أنظر ما يلى وراجع : Bovill, p. 81

(١٤٤) Fage, p. 20 ; L. Lug., p. 100 ; Hogben, p. 29

(١٤٥) L. Lug., p. 100 ; Hogben, p. 29

(١٤٦) Spitz, p. 61

(١٤٧) المغرب ١٧٧ :

(١٤٨) المغرب ص ١٧٧

(١٤٩) Bovill, p. 82

(١٥٠) Davidson, p. 48

(١٥١) صورة الأرض ص ٩٨

(١٥٢) إمبراطورية مالى للمؤلف ؛ ابن بطوطة : تحفة النظار ج ٤ ص ٣٧٧ — ٣٧٨ ؛
De La Roncière, I, pp. 83, 88, 129, 138 ; II, p. 143 ; III, p. 44
Bovill, pp. 141-142 ; Fage, p. 20

(١٥٣) معجم البلدان ج ٣ ص ٥٣ ؛ راجع كذلك نشق الأزهار ص٨ ؛ Bovill, p. 81

(١٥٤) تحفة الألباب ص ٤١ — ٤٢

(١٥٥) Hogben, p. 29; Shinnie, p. 47

(١٥٦) راجع ما سبق وانظر المغرب ص ١٧٥ ؛ Davidson, p. 89

(١٥٧) المثقال يساوى حوالى ثمن أوقية ذهب (Davidson, p. 88)

(١٥٨) المغرب ص ١٧٦ ؛ أنظر كذلك Davidson, p. 88

(١٥٩) إمبراطورية مالى للمؤلف ؛ ابن بطوطة جـ ٤ ص ٤٣٩ — ٤٤١ ؛ مسالك الأبصار جـ ٢ ق ٣ ورقة ٥٠٧ ؛ Bovill, p. 94 : L. Lug., p. 117 .

(١٦٠) نزهة المشتاق ص ٦ — ٧

(١٦١) نزهة المشتاق ص ١٤

(١٦٢) أنظر خريطة إمبراطورية غانة .

(١٦٣) Bovill, pp. 83, 191-192, 194-202 ; Davidson, pp. 78, 81 ; Fage, p. 21 ; Shinnie, p. 45 ; Spitz, p. 61 ; De La Roncière, I, p. 98 ; De Pedrals, p. 132

(١٦٤) تاريخ ابن الوردى ص ١٥٨

(١٦٥) أخبار الزمان ( مخطوط ) ورقه ١٣٩ ا

(١٦٦) صورة الأرض ص ٩٨

(١٦٧) الضمير عائد على ملك غانة .

(١٦٨) الندرة (Nugget) هى القطعة الكبيرة .

(١٦٩) المغرب ص ١٧٧ ؛ أنظر كذلك Davidson, p. 88 ; Bovill, p. 82

(١٧٠) Davidson, p. 83

(١٧١) Shinnie, p. 45

(١٧٢) Fage, p. 21

(١٧٣) أخبار الزمان ( مخطوط ) ورقة ٣٨ ب ، ١٣٩ ا .

(١٧٥) من مراجع التجارة الصامتة :

Gautier, Le Passé de l'Afrique du Nord, pp. 48-58
De La Roncière, I, pp. 94-99 ; Shinnie, pp. 44-46 ; Bovill, pp. 82-83 ; Johnston, pp. 296-300 ; Kupe, p. 28 ; Wiedner, pp. 29-30 ; Ward, p. 30 ; Reindore, p. 2 ; Gsell, I, pp. 468-469 ; Fage, pp. 20-21 ; Hobbey. Early Explores, p. 7 ; Opening Afr., p. 4 ; Ivir Willks (Univ. Coll. of Ghana). A Medieval Trade Route from the Niger to the Gulf of Guinea (Paper Read before the third Conference on African Hist. and Arch., London, 1961).

(١٧٦) من مراجع هذه الصحيفة :

البكرى ص ١٨٣ ؛ نزهة المشتاق ص ٣ — ٣ ، ٨ — ٩ ؛ الشنقيطى : الوسيط ص ٤٩٣ - ٤٩٤ ؛

Cooley, pp. 111-115
Pruen, p. 208 ; Johnston pp. 151-154 ; Hobbey, Opening Afr., pp. 17-18 ; Bovill, p. 83 ; Ryder The Portuguese in West Africa, (Conference on Afr. Hist. and Archeol., London, 1961).

(١٧٧) راجع ما سبق وانظر Trimingham, pp. 13-14

(١٧٨) قداح ص ٣٦ ، ٤٢

(١٧٩) Davidson, pp. 70-74 ; Shinnie, p. 45

(١٨٠) راجع ما سبق وانظر المغرب ص ١٧٧ ؛ Spitz, p. 61

(١٨١) Bovill, p. 90

(١٨٢) راجع ما سبق وانظر المغرب ص ١٧٧ ؛ Davidson, p. 88

(١٨٣) Bovill, p. 81,

(١٨٤) تاريخ ابن الوردى ص ١٦٠

(١٨٥) نزهة المشتاق ؛ وانظر كذلك Shinniel p. 47

(١٨٦) عثر حوالى عام ١٩٠٠ م على قطعة ذهب تشبه هذه القطعة فى بامبوك ، إحدى مناطق الإقليم المشهور باسم ( ونقارة ) أو أرض الذهب ، كما وصفه الكتاب العرب ، وهذه المنطقة تابعة حالياً لجمهورية مالى ، وتقع بين رافدى السنغال : بافنج وفالميى .

راجع Bovill, p. 81 .

(١٨٧) المقصود بالنيل نهر « النيجر »

راجع De La Roncière, I, pp. 89, 90

(١٨٨) نزهة المشتاق ص ٦

(١٨٩) De La Roncière, I, p. 85

(١٩٠) المغرب ص ١٧٦

(١٩١) إمبراطورية مالى للمؤلف ؛ ابن بطوطة جـ ٤ ص ٣٠٩ ؛ Davidson, p. 85 ; L. Lug., p. 99 ; Bovill, p. 81

(١٩٢) (١٩٣) المغرب ص ١٧٥

(١٩٤) نزهة المشتاق ص ١٤

(١٩٥) المغرب ص ١٧٥

(١٩٦) نزهة المشتاق ص ١٤

(١٩٧) المغرب ص ١٧٥

(١٩٨) الفتاش ص ٤٢

(١٩٩) المغرب ص ١٧٩

(٢٠٠) المغرب ص ١٧٦ ؛ أنظر كذلك Bovill, p. 82 Hogben, pp. 28-29

(٢٠١) أنظر برستد : انتصار الحضارة — ترجمة أحمد فخرى ص ١٦٨

(٢٠٢) دول الهوسا للمؤلف ، راجع : Hogben, p. 29

(٢٠٣) راجع ما سبق وانظر آثار كومبى صالح .

(٢٠٤) راجع ما سبق وانظر البكرى ص ١٧٤ — ١٧٥ .

(٢٠٥) المغرب ١٧٧

(٢٠٦) الإسلام واللغة العربية فى نيجرشيا للمؤلف ، راجع : قداح ص ٤١ ، ١٣٩ ، ١٤١ — ١٤٢ ، ١٤٩ ؛ Blyden, pp. 14-15

(٢٠٧) راجع ما سبق وانظر البكرى ص ١٧٥

(٢٠٨) راجع ما سبق

(٢٠٩) إمبراطورية مالى للمؤلف ؛ راجع De La Roncière, I, p. 88
Bovill, pp. 98-99 ; L. Lug.. pp 101-103

(٢١٠) راجع De La Roncière, I, pp. 129-136 ; Palmer, pp. 205-206

(٢١١) نزهة المشتاق ص ٦ ؛ L. Lug., pp. 98-99

(٢١٢) ظهر التكارررة مرة أخرى فى تاريخ غربى أفريقيا ، وقاموا بدور كبير فى حركة الجهاد الإسلامى والكفاح الوطنى زمن الحاج عمر وابنه أحمد وفى القرن التاسع عشر الميلادى ، وكان لهم إمبراطورية كبرى أزالها الاستعمار الفرنسى (إمبراطورية التكارررة للمؤلف) وراجع : تاريخ ابن الوردى ص ١٥٢ ، ١٧٢ ؛

Delafosse, Takruer (Encycl. of Islam), Vol. IV, p. 633 ; L. Lug., p. 115 ; Urvoy, p. 31 ; Trimingham, p. 13 ; Cooley, pp. 97-98 ; Le Chatelier, p. 80 ; Fage, pp. 146-147

(٢١٣) Shinnie, pp. 49-50

(٢١٤) Spitz, p. 61

(٢١٥) راجع ما سبق وانظر Thompson and Adloff, p. 521

(٢١٦) ، (٢١٧) راجع ما سبق وانظر :
Hogben, p. 27 ; Davidson, p. 85 ; L. Lug., p. 93,

(٢١٨) راجع ما سبق وانظر : Bovill, pp. 74, 84-5 ; Gouilly. pp. 50-51

(٢١٩) راجع ما سبق وانظر : الاستقصا ج ٢ ص ٢١ — ٢٢ ؛

Bovill. pp. 74, 84-85 ; Hogben, pp. 50-51 ; L. Lug., pp. 99, 110 ; Oliver and Fage. pp. 11-15 ; Spitz, p. 61 ; Davidson, p. 85 ; Fage, p. 22

(٢٢٠) L. Lug., p. 115 ; Fage, p. 22 ; Le Chatelier, p. 80

(٢٢١) ورد إسم سومانجورو بصور مختلفة منها : سومانهورو وسومانجور ؛
Sumanhoro, Sumanguruer (Delafosse, Soso, Encycl. of Islam, Vol. IV), pp. 489-490 ; Traditions, pp. 21-30 ; Le Chatelier, p. 80 ; L. Lug., p. 115 ; Fage, p. 22 ; De Pedrals, p. 152 ; Talbot, p. 63)

(٢٢٢) Bovill, p. 90 ; Yver, p. 140 ; Baumann, p. 392 ; L. Lug., pp. 165-166

(٢٢٣) إمبراطورية مالى للمؤلف ؛ صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٩٣ ؛ ليو الأفريقى : الكتاب السابع ص ٢٩٣ — ٢٩٤ ، قداح ص ٣١ ؛ ابن خلدون ج ٥ ص ٢٩٣ ، ج ٦

Delafosse, Traditions, pp. 20, 30 ; Monteil, pp. 65-66, ص ٢٠٠ ؛ 69-70 ; Labouret, pp. 203, 241 ; Bovill, p 86 ; Baumann, p. 392 ; Fage. pp. 24-28 ; Cooley, p. 69 ; Urvoy. pp. 23-24 ; Shinnie, p. 51 ; Hogben. p. 30 ; Oliver and Fage, pp. 85-86 ; Okafar, p. 28 ; De La Roncière, I, p. 86 ; Spitz, p. 61 ; L. Lug., p. 119

راجع خريطة إمبراطورية غانة .

(٢٢٤) كان الهولنديون هم الذين أطلقوا إسم ساحل الذهب على هذه المنطقة فى القرن السابع عشر الميلادى.

(٢٢٥) من مراجع هذه الصفحة الأخيرة :

سلجمان (الترجمة العربية ، ص ٥٧ ) ؛ شبل ، دراسات فى اقتصاديات القارة الأفريقية ، ص ١٠١ ؛ قداح ص ٢٨ ؛ د. حسنين : الاستعمار الفرنسى ص ٨٣ — ٨٧ ، ١٠٠

Johnston, pp. 301-315 ; Apter, D.E., The Gold Coast in Transition, pp. 21-27 ; Church, pp. 227-229, 237-245, 360-363 ; Wiedner, p. 42 ; Bourret, Ghana, pp. 1, 11, 14 ; Ward, pp. 46-47 ; Fage. pp. 70-71, 75 ; Talbot, p. 62 ; Thompson and Adolff p. 238 ; Kitchen, (Edit.) pp. 326-346 ; Hance, The Geography of Modern Africa (New York, 1965) ; Fage, Ghana, A Historical Interpretation (Ma disons 1959). Meyerowitz, The Akan of Ghana Their Ancient Belief (London, 1958).